

رَوائِع تُراث الزَّيديّة

الرد على النصارى

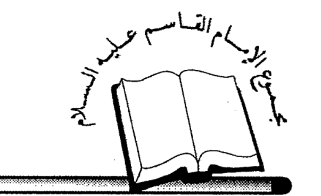
للإمَام نجم آل الرّسول القاسم بن إبْراهيم الرّسي الحَسني عَليه السَّلام (١٦٩ - ٢٤٦هـ)

مُنتزع مِن الجُزءِ الأوّل مِن مجْموع كُتبه ورسَائله

دراسة وتحقيق

عبدالكَريم أحْمد جَدبان

دَار الحكمَة اليَمانيّة



الرد على النصارى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لم يزل ولا يزال، وله الكبرياء بَديًّا والجلال، البري من كل تغيُّر وزوال، وتبدُّل وحركة وانتقال، أو فناء أو احتيال، المَتعالي عن أن يكون لشيء أصلا متأصلا، أو عنصرا من عناصر الأشياء كلها متحللا، فيكون كواحد منها، أو كما بان من فروعها عنها، فكثر من قلته بتفرع بعد قلة، أوعزَّ بكثرته بتجمع من ذلة، ولو أن ذلك، كان فيه كذلك، لعاد غيره له ندا ومثلا، إذ كان له سبحانه محتدا(١) وأصلا، ولكان حينئذ لكل ما كان منه، ووجد من فروعه وعنه، ما كان من التوالد له، إذ كان المتولد منه مثله.

[مشابهة الفروع للأصول]

وكذلك يوجد لكل فرع كان من أصل، ما يوجد لأصله من التوالد مثلا بمثل، كفرع ما يُرى من الأشياء كلها، التي تتولد يقينا عيانا من نسلها، مثل ما يتولد غير مرية من أصلها، كما يُرى من ولادة الأبناء، لمثل ما يتولد من الآباء، سواء ذلك كله سواء.

وكذلك ما يرى من متولد الشجر وغير الشجر، فكالأنثى في ذلك أجمع والذكر، يتولد في ذلك كله من أولاده[٢]، ما يتولد سواء من والده، فكل شيء أبدا كان ممكنا في أصل ووالد كون وجوده، فمثله ممكن سواء في نسله ومولوده، لا يمتنع مما قلنا به في ذلك وقبوله، إلا مكابر في ذلك لعلمه ومعقوله. و لذلك وما فيه من الامكان، وما يدخل به على أهله من النقصان، ما تقدس الله عنه، وجل وتطهر منه، فلم تمكن فيه منه سبحانه ممكنة في فكر ولا مقال، وكان القول عليه جل جلاله بذلك أحول مُحال، إذ في أن يكون شيء له ولدا، وأن يكون لشيء أصلا ومحتدا، إبطال الإلهية والربوبية،

---

(١) في (ج): إذا كان سبحانه. والمحتد: الأصل والطبع.

(٢) في (ج): أولاد.

و زوال الأزلية والوحدانية، وإذ لا يكون واحدا من كان له ولد أبدا، ولا يكون أزليا من كان أبا أو والدا، [١] لأن الابن ليس لأبيه برب، وكذلك الرب فليس لمربوب بأب، إذ كان الابن في الذات، هو مثله فكلاهما من الربوبية قاصٍ متبعِّد، إذ ليس منهما من هو بها متفرد متوحد. لأن الربوبية لا تمكن أبدا إلا لواحد، ليس بأصل لشيء ولا ولد ولا والد.

ولكل ولد في[٢] ذاته، ما للوالد من صفاته، وكذلك والده فله في الذات، مثل ما للولد في ذلك من الصفات، كالانسانية التي للابن منها ما لأمه وأبيه، وفي الأبوين منها ومن كمالها مثل ما فيه، فليس له من الانسانية وحدودها، ولا مما يوجد فيه وفيهما من مو جودها، أكثر مما لهما منها، وكل واحد منهما فغير مقصر عنها، ولتمامهما جميعا فيها، وفطرة الله لهما عليها، كان الابن ولدا لهما ونسلا، وكانا له بها محتدا وأصلا، وفي ذلك ما يقول الله سبحانه، لعيسى صلوات الله عليه ورضوانه، فيما نزل من الكتاب، في يوم البعث والحساب، توقيفا وتعريفا له وللعباد، على أنه قد يجب للوالد في الذات ما يجب للأولاد، وتوبيخا لمن أفرده دون أمه في العبودية والإلهية، وحالهما في الذات حال واحدة مستوية، فعبدوه عماية وجهلا دونها، وهم يعلمون أنه ابنها ومنها، ويوقنون فلا يشكّون أن أباها أبوه، فهي وآباؤها أولى منه بما أعطوه، إذ كان لولا وجودهم لم يوجد، ولولا ولادتهم له لم يولد.

فكيف يعبدونه دونهم، و لم يكن قط إلا منهم، فهو في الذات كَهُم، إلا أن يفرقوا بينه وبينهم، بحال يخصونه بها دونهم، أو بغير ذلك من فعل من الأفعال، هو سوى ما يجمعهم وإياه في الذات من الحال، فكيف وذلك غير قولهم، وما ينون عليه من أصلهم.

[عيسى بشر]

فاسمعوا لقول الله في ذلك وبيانه، وما بيّن فيه جل جلاله من تفصيله وفرقانه، إذ

---

(١) في جميع المخطوطات: كان والدا أو أبا. والصواب ما أثبت.

(٢) في (ج): من.

يقول له صلى الله عليه، في ذلك من غير ما سخطة منه عليه ولا لوم فيه [١]: ﴿ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١١٦] ، فسبح الله جل جلاله إكبارا له عن أن يقول في ذلك على الله علاَّمِ ما كان وما يكون بقولِ إفكٍ مفترٍ مكذوب، لايصح فيه أبدا قول في فطرة، ولا يقوم في سليم عقل ولا فكرة.

وقال صلى الله عليه: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المائدة:١١٧] ، فأنبأهم صلى الله عليه أنه عبد الله[٢] كما هم كلهم جميعا عَبيد، [٣]وأخبر الله سبحانه من قوله في ذلك بما لا تنكره النصارى كلها وإن اختلفت في أديانها، وفرَّقتها البلدان في كل مفترق من أوطانها، لما رأوا منه عيانا، وأيقنه من غاب منهم إيقانا، من عبادته عليه السلام لله واجتهاده في طاعة الله، وكان في ما عاينوا[٤] من مشابهته لهم في الخلقة دليل مبين على أنه عبد لله، يجري عليه من حكم الله في أنه عبد لله ما جرى عليهم، بما[٥] بان من أثر تدبير الله وصنعه فيه وفيهم.

وفيما قلنا من ذلك ومثله، في أن[٦] الفرع من الشيء له ما لأصله، ما يقول الله سبحانه لرسوله، صلى الله عليه وعلى آله: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الزخرف:٧٤]. يخبر جل جلاله عن أنه قد يجب للولد ما يجب

---

(١) في المخطوطات: عليه فيه ولا لوم. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في (أ) و (د): عبد له كما هم جميعا عبيده.

(٣) في (أ) و (د) و (ج): عبيده. والتصحيح من نسخة أشار إليها المستشرق الألماني.

(٤) في (ج): ما عاينوه.

(٥) في (ج): يجري. وفي (د): مما.

(٦) في (د): وأن الفرع.

للوالدين[١] في كل ما يجب لهم بالطبيعة والذات، لا فيما يجب من ذلك بالأعراض المحدثات.

ولو كان عيسى صلى الله عليه كما قالوا ربا وإلها، وعن أنه لله عبد أو صنع معظما في ذاته[٢] منزّها، لكان لأمه من ذلك ما له، إذ كانت في الذات مثله، بل لكان ينبغي لمن ولده أن يكون أعلى من ذلك منزلة منه، إذ كان وجوده صلى الله عليه به وعنه.

وليس أحد من النصارى يُثبت لمريم ما يُثبت لابنها من الإلهية، بل كلهم يقول: إنها أَمَة من إماء الله محدثة غير قديمة ولا أزلية، وقد يلزمهم صاغرين فيها، من إضافة الإلهية إليها، ما قال الله تبارك وتعالى فيهما، إذ الحكم واقع بالاشتباه[٣] في الذات عليهما، فهي في ذلك كله كولدها، إذ روحه من روحها وجسده من جسدها.

فإن لم يكن ذلك، فيهما كذلك، زالت البنوة عنه منها، وزال أن تكون له أُمًّا عنها، فلم تكن له أُمّا ولم يكن لها ابنا، إذ لم تكن إلا موضعا له ومكانا، إلا أن يجعلوا الأماكن أمهات لما كان فيها، فيقع ما قالوا من أنها أم له عليها.

فأما إن جعلوها[٤] من طريق ما يُعْقَل أُمًّا له، فقد جعلوها في الطبيعة لا محالة مثله.

وإذا كان ذلك، فيهما كذلك، جعلوه صاغرين كأمه إنسانا لا ربا ولا إلها، وكان الناس كلهم إذ هو مثلهم في ذلك له أمثالا وأشباها، لا افتراق بينه وبينهم في الإنسية، ولا تفاوت بينه وبين جميعهم في الجنسية، ولذلك كان يطعم صلى الله عليه كما يطعمون، ويألم مما يؤلمهم كما يألمون، ويقيمه كما يقيمهم الشراب والطعام، ويعرض له الحزن والغموم والاهتمام.

والنصارى كلها فقد تقر بطعمه وحزنه واغتمامه، وتحمده بما كان من صبره

---

(١) في (أ) و (د): للوالد.

(٢) سقط من (أ) و (د) و (ج): معظما في ذاته

(٣) في (د): في الاشتباه.

(٤) في (د): يجعلوها.

وآلامه، التي كانت وصلت إليه عندهم في الضرب والصلب، وما كان يلقى في سياحته وأمره ونهيه من الدؤب والتعب، وفيما[١] جعل الله من طعمه وأكله من الآيات البينة الجلية، ما يُبطل ما قالت به النصارى فيه من الأقوال الكاذبة المفترية الرديَّة، و في نسبة الله له المعقولة في الدنيا والآخرة إلى أمه، ما يدل - والحمد لله - مَنْ رَشدَ على أنها من أصله وجِرمه، [٢] وأنه في ذلك كله كمثلها، إذ هو منها ومن نسلها، آباؤها آباؤه، وغذاؤها غذاؤه.

فَلْيَفهم هذا - مِن أمره وأمرها، وعند ذكره في النسب وذكرها - مَن يفهم ويعقل، ولا يتجاهل منه ما لا يُجهل. وليعلم أن قول الله سبحانه كثير في كتابه: ابن مريم، وترديده في ذلك لذكره بها صلى الله عليه وسلم، فيه من تيقن الثَّلَج، [٣] وغوالب الحجج، التي يثلج[٤] بها كل قلب، ويغَلب فلا يُعلى بغلب، إذ تقرر من ولادتها له ما لا ينكره من النصارى ولا غيرها منكر، ولا يتحير فيه مِنْ[٥] كل مَن عرفه بها ولا بما كان له من ولادتها مُتحيِّر، إذ جعله الله سبحانه ابنها، وجوده منها وعنها، منها[٦] كونه وفصوله، وأصولها كلها أصوله، وكل ما لزم فرعَ شيءٍ من تغيير أو فناء لزم أصله، وكذلك كل ما كان من ذلك للأصل فهو له، لا يأبى ذلك ولا يكابره، إلا فاسد العقل حائره[٧].

وفيما قلنا به والحمد لله من ذلك، وأن[٨] عيسى صلى الله عليه كذلك، ما يقول الله سبحانه: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ

---

(١) في (ج) و (د): ونهيه والدؤوب. وفي (أ) و (ب): وما جعل.

(٢) الجِرم: الجسد.

(٣) في (ج) و (د): يقين. والثَّلَج: اليقين.

(٤) يسكن ويطمئن.

(٥) سقط من (ج): من.

(٦) سقط من (ج): منها.

(٧) في (أ): جائره. وفي (ج) و (د): حائر.

(٨) في (ج): وفي أن عيسى. وفي (د): في أن عيسى.

أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [المائدة:٧١] ، فأي آية أدل لهم على أنه مثلهم من أكله للطعام لو كانوا يعقلون، فلقد جهلوا من هذا - وَيْلهم - ما لم يجهل قوم نوح إذ يقولون: ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ [المؤمنون:٣٣].

[مصادر عقائد النصارى]

ومن قبل ما قالت به النصارى في المسيح بن مريم ما قال بمثل قولهم المشركون، فزعموا أن ملائكة الله المقربين، ولدٌ وبنات لله رب العالمين.

ومنهم ما[1] قبلت النصارى أقوالها، وحَذَتْ في الاشراك بالله منهم مثالها، وهو قول كان يقول به في الأوائل الروم والقبط وأهل الجاهلية، من كان يقول في النجوم السبعة بتثبيت الربوبية لها والإلهية، وكانوا يزعمون أن النجوم السبعة ملائكة لله ناطقة، وأنها آلهة مع الله - لما تم بها[2] كونه - خالقةٌ، وأن الله سبحانه صنعهن منه صِنعاً، ولم يبتدعهن لا من شيء بدعا، فلما أكملهن تبارك وتعالى وتم تمامهن، كُنَّ كلهن به وعنه قال لهن:

أنتن آلهة الإلهية بكنَّ عقدُ كلِ معقود وحل كل محلول، وزعموا أن بهن وعنهن كانت من الحيوان المايت[3] جَعْلُه كل مجعول، بهن كان وجوده وقوامه[4]، ومنهن كان صنعه وتمامه، وأنهن[5] علةٌ واسطة بين الله وبين الأشياء، وأن الله الصانع لهن ولغيرهن به ماتت[6] الأحياء، وكان الله لا شريك له إله الآلهة العليُّ الذي لا يمثلونه بشي، والأول القديم الذي لم يزل تبارك وتعالى من غير أول ولا بَدِي، وأنه هو المبتدئ[7]

(١) في (أ): من قبلت.وما، هذه زائدة، كثيرا ما يستخدمها الإمام.

(٢) في (ج): تم به كونها خالقة.

(٣) في (ج): الميت.

(٤) في (ج): قيامه.

(٥) في (د): وأنه.

(٦) في (ج) و (د): بهن. وفي (ج): ما بث.

(٧) في (د): المبتدئ بإنية الصانع.

الصانع للنجوم السبعة، المتعالي عن مشابهة كل مصنوع كان أو يكون وكل صنعة.

وكذلك قالت النصارى: إن الله خلق الأشياء بابنه نفسه، وحفظها ودبَّرها بروح قدسه، وإن الابن خلق الخلق وفطره، وإن روح القدس حفظ الخلق ودبَّره، وزعموا أن قوة الخلق غير قوة الحفظ والتدبير، وأن الأب لم ينفرد من ذلك كله بقليل ولا بكثير، وأن حال الأب والابن وروح القدس في الإلهية واحدة، وأن عبادة كل واحد منهم[1] عليهم واجبة.

وكذلك زعم المشركون من أصحاب النجوم أن الله خلق الحيوان الميت ودبَّره بالنجوم السبعة، وأن بهن وبما جعل الله من القوة فيهن كانت من ذلك كل بريته وكل صنعة، فأقوالهم كلهم[2] في أن لله ولدا واحدة[3] غير مفترقة، وفريتهم جميعا في ذلك على الله فكاذبة غير مصدقة، إذ شبهوا بالله غيره، فجعلوه ولده ونظيره.

وفي القول بالولادة والاشتباه، [4]إبطالٌ من قائله لكل إله، لأنهما إذا تماثلا واشتبها، لم يكن كل واحد منهما إلها، لأنه لا يقدر مع تشابههما أحدهما على إبطال الآخر، وإذا لم يقدر على إبطاله كان عاجزا غير قادر، ومن كان في شيء من الأشياء كلها عاجزا، كان عجزه له[5] عن الربوبية والإلهية حاجزا.

وإن قال قائل كان[6] كل واحد منهما قادراً على إبطال نظيره، ففي ذلك أدل الدلائل على نقص كل واحد منهما وتقصيره، وإذا كان كل واحد منهما منقوصا مقصّرا، [7]لم يكن من الأشياء كلها لشيء صانعا مدبرا، ليس له كفؤ من الأشياء كلها ولا مثل ولا نظير، ولم يوجد في السماء ولا في الأرض ولا فيما بينهما صنع ولا تدبير،

---

(١) سقط من (أ) و (د) و (ج): منهم.

(٢) في (د): كلهم جميعا في.

(٣) في (أ): أوجده.مصحفة.

(٤) في المخطوطات: في الولادة. ولعل الصواب ما أثبت. وفي (د): والأشياه.

(٥) سقط من (ج): له.

(٦) في (د): فإن قال. وسقط من (ج): كان.

(٧) في (ج): مقسَّرا.

والصنع فقد[١] يُرى بالعيان في ذلك كله قائما موجودا، فكفى بذلك دليلا بيِّنا على أن لهذا الصنع العجيب صانعا لا والدا ولا مولودا.

ووجود[٢] صانعه أبين وأوجد من وجود كل موجود وجودا، وأنه واحد صمد ليس والدا ولا مولوداً، ولن يجد ذلك أحد أبدا، إلا الله الذي لم يتخذ صاحبة ولاَ ولدا، ولم يزل تبارك وتعالى واحدا صمدا، ليس من ورائه أزلي مصمود، ولا أوَّليٌّ من الأشياء موجود، فيكون متقدما أوَّلاً قبله، فلا يكون الله هو الخالق له، بل هو الله الخالق الأول القديم، الذي ليس لغيره[٣] عليه أولية ولا تقديم، ولكن كل ما سواه، فخلق ابتدعه وأبداه، فَوُجِد بالله خلقا بديا بعد عدمه، بريا من مشاركة الله في قدرته وقدمه، بينة آثار الصنع والتدبير فيه، شاهدة أقطاره بالحدث والصنع عليه، مختلف مؤلف، ضعيف مصرَّف، مجسم محدود، متوهم معدود، قد ناهاه قطرُهُ وحَدَّه، وأحصاه مقداره وعَدَّه، فهو كثير أشتات، له نعوت وصفات، كثيرة متفاوتات، كذلك الحيوان منه والموات.

فليس يوجد أبدا الواحد الأزلي، الذي ليس له مثل ولا نظير ولا كفي،[٤] إلا الله تقدست أسماؤه، وجل ذكره وثناؤه، وفي ذلك وبيانه، ومن حججه وبرهانه، ما يقول الله جل جلاله، عن أن يحويه قول أو يناله، فيما نزل من كتابه المجيد، في سورة الإخلاص والتوحيد: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ [الإخلاص:١]. والأحد فمن ليس له والد ولا ولد، ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾ [الإخلاص:٢] والصمد فهو الغاية في كل خير والمعتمد، الذي ليس مِن ورائه، مَن يسمى بأسمائه، فيستحق منها كما استحق الله شيا، فيكون لله فيما يُسّمى به منها كفيا، كما قال الله سبحانه في كتابه، وما نزل من

---

(١) في (ج): قد.

(٢) في (ب): ووجــوده أبين وأوجد من وجود كل موجود وجودا. وفي (ج): مثل (ب). إلا أنه سقط قوله (وجودا). وفي (د) مثل (أ). وسقط منه قوله: (وجودا).

(٣) في (ج): لغير عليه.

(٤) في (ج): كفو.

البيان[1] على عباده، فيما كان الله[2] تبارك وتعالى من أسمائه الحسنى متسميا: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم:٦٥].

وفيما نزّل سبحانه من أنه ليس له كفؤ ولا نظير، ما يقول: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]. و ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٣].

وفي أنه ليس له شبيه ولا كفي، [3] ولا مثيل ولا بَدي، ما يقول الله سبحانه: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص:٣-٤]. وكيف يولد من لم يزل واحدا أولا؟! أو يلد من جل أن يكون عنصرا متحللا؟![4] لا كيف والحمد لله أبدا! يكون الله والدا أوولدا! فنحمد الله على ما منَّ به علينا في ذلك من البيان والهدى، ونعوذ بالله في الدين والدنيا من الضلالة والردى.

فليسمع - من قال بالولد على الله، من كل من أشرك فيه بالله، من اليهود والنصارى، والملل الباقية الأخرى - حُجَجَ الله المنيرة في ذلك عليهم، ففي أقل من ذلك بمنِّ الله ما يشفيهم، من سقم كل عمى عارضهم فيه أو داء، ويكفيهم في كل قصد أرادوه أو اهتداء، ففي ذلك ما يقول الله سبحانه لهم كلهم جميعا، ولكل من كان من غيرهم لقوله فيه سميعا، ممن لم يَعْمَ عن قول الله فيه عماهم، ولم يَعتَدْ على الله فيه اعتداءهم: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ [البقرة:١١٦]، فقال الله إنكارا لقولهم فيه وردا: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [البقرة:١١٦-١١٧].

---

(١) في (د): البيان به على.

(٢) في (د): كان الله.

(٣) في جميع المخطوطات الموجودة (شبيه ولا مثل أو مثيل، ولا كفيء ولا بدي). وما أثبت اجتهاد مني جريا على نَفَس الإمام.

(٤) في (ج): متخللا.

وفي ذلك وتبيينه، وفي افترائهم فيه بعينه، ما يقول الله سبحانه: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٠٠ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام:١٠٠-١٠٣]. ومعنى خرقوا، فهو: افتروا واخترقوا، باطلا وبهتانا، وعماية وجهلا وطغيانا.

وتأويل ﴿سُبْحَٰنَ﴾ ومعناها، فليعرف ذلك من قراها: إنما هو بُعد الله وتعاليه، عما قالوا به[1] من اتخاذ الولد فيه، وقول القائل سبحان، إنما معناه: بُعدان، كما يقال بينك وبين ما تريد، سبحٌ يا هذا بعيد، فالسبح هو البعيد[2] الممتنع، والأمر المتعالي المرتفع.

فما الذي هو أمنع وأبعد، من أن يكون الله والدا أو يولد، وهذا فهو قول متناقض، محال داحض، لا يقوم أبدا في فكرة ولا وَهمٍ، ولا يصح به كلام من متكلم.

ولذلك من محاله، وتناقضه وإبطاله، ما يقول الله سبحانه تعاليا عن قولهم وبعدا: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة:١١٦]، والمتخذ عند كل أحد فهو المستحدث المصطنع، وما اتُّخذ فاصطُنع[3] فهو يقينا المحدَث المبتدَع، والوالد كما قد بينا في صدر هذا الكتاب كالمولود، في ماهما بالذات والطبيعة من[4] الخاصية والحدود، فجعلوا الإله البديع كالمبدوع، و الرب الصانع للأشياء كالمصنوع، وكلهم يزعم أن الله صانع غير مصنوع، ومبتدع لجميع البدائع غير مبدوع، وإذا صح أن السماوات والأرض وما فيهن لله، وأن قيام ذلك ووجوده وصنعه بالله، وما قضى من أمر فإنما قضاؤه له، بأن

(١) سقط من (أ) و (ج): به.

(٢) في (ج): البعد.

(٣) في (ج): واصطنع.

(٤) سقط من (د): من.

يتم [illegible] ولا علاج[١] ولا أداة ولا معاناة ولا احتياج،[٢] ولكنه يُتِم كَونه وصنعَه، إذا هو أراده وشآءه.

وإذا قيل أَمَرَ الله في خلقه وقضى، فإنما هو من الله بمعنى أراد الله وشاء، وما ذكر من قنوت الأشياء لله، فإنما هو قيامها ووجودها بالله، وتأويل قوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾، إنما هو كل به ومن أجله كائنون.

وسواء في هذا الباب، وفيما ذكر منه[٣] في الكتاب، قلت: له، و به[٤] ومن أجله، وكما يقال: فعلت ذلك بك ولك، وكذلك يقال: فعلت ذلك بك ومن أجلك.

ولما أن صح بأحق الحقائق، وأَوجَد ما يكون من الوثائق، أن السماوات والأرض ومن[٥] فيهن لا تكون أبدا إلا من واحد، صح أن ذلك لا يكون أبدا من مولود ولا والد، فكان القول - مع صحة هذا ونحوه وأمثاله، بما قالوا به في الولد - من أخبث القول وأحول محاله!! وأيُّ تناقض في مقال يقال أقبح؟! أو محال بتناقض[٦] فاحش أوضح؟! من قولهم اتخذ الله ولدا فجعلوه[٧] متخذا مولودا! وهم يقولون مع قولهم ذلك أن الولد لم يزل قديما موجودا، لم يفقد قط ولَم يزل، ولم يتغير حاله ولم يتبدَّل، فمن أين يكون مع[٨] هذا القول منهما ولد ووالد؟! وأمرهما جميعا في القدم والأزلية واحد! وكيف يكون متخَذا حدثا مَن لم يزل موجودا قديما، وإنما يكون المتخَذ المستحدَث مَن كان قبل أن يُتَّخذ مفقودا عديما. فقالوا جميعا كلهم: هو الله[٩] وولده، ثم زعموا مع

---

(١) علاج ومعالجة: المحاولة.

(٢) سقط من (أ) و (ب): ولا احتياج.

(٣) في (د): من.

(٤) في (ج): قلت به وله..

(٥) في (ج): ما.

(٦) في (أ) و (د): ومحال يتناقض.

(٧) في (ج) و (د): فجعلوا الولد متخذا.

(٨) في (ج) و (د): (مع الله هذا). وهو سهو من الناسخ.

(٩) في (أ) و (ب) و (هـ): (هو ابنه وولده). وهو سهو فيما يبدو.

ذلك أنه ابنه يسبحه ويعبده، والمولود[١] عندهم في الإلهية والأزلية كالوالد، فصيّروا الرب المعبود في ذلك كله كالمربوب العابد، فهل وراء ما قالوا به من التناقض في ذلك على الرب؟! من مزيد في تناقض أو محال أو إبطال أو إفساد أو كذب، يقول به قائل مناقض محيل، ويضل[٢] في مثله إلا تائه ضليل، قد عَظُم في المحال والتناقض إسرافه، وقلّ في المقام بالباطل لنفسه إنصافه، فهو يلعب في حيرته ساهيا، ويخوض في غمرته لاهيا.

وفيه والحمد لله وفي أمثاله، ممن قال على الله بمقاله، ما يقول الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [الزخرف:٨٢-٨٣]. وفي ذلك ما يقول سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ:٤٠-٤١].

وفي إحالة قول من قال بالولد، من أهل الكتاب ومن كل ملحد، ما يقول سبحانه: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم:٨٩-٩٥]. والإدُّ من الأمور والأقاويل، فما امتنع امكانه في العقول، فلم يُطق له أحد احتمالا، وكان في نفسه فاسدا محالا، وهو كما قال الله سبحانه: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى﴾. وذلك فما ليس بممكن ولا متأتي[٣].

فأي ممتنع من الأمور أبعدُ إمكانا[٤]؟! مما قالوا به في الولد على الله بهتانا، وهل

---

(١) في (أ) و (ب) و (د): والمعبود.

(٢) في (ج) و (د): أو يضل.

(٣) في (ج) و (د): ولا متأتٍ.

(٤) في (أ) و (ب): مكانا.

يمكن السماوات والأرض في عقل أو لب، أن تكون من ابن أبدا أو[١] أب، وهل الابن إلا كالأبناء، وكذلك الأب فكالآباء، فإن لم يكن كهم زال أن يكون أبا أو ابنا، و لم يكن ذلك أبدا في الأوهام ممكنا، لأنه إن لم يكن أب وابن كأب وابن في الأبوة والبنوة مثله، زالت الأبوة والبنوة واسمها كلها عنه، وإن كان الابن للابن مثلا، كان مثله خَلقًا مجتبلا، ومتى[٢] جعلوا المسيح ابنا وولدا، كان مثل الأبناء لله عبدا مخلوقا متعبدا، ومتى أنكروا أنه كغيره من الأبناء عبد[٣] لله، أنكروا صاغرين أن يكون كما قالوا ابنا لله، أفليس هذا من القول هو المحال بعينه؟! وما يحتاج أحد يعقل إلى تبيينه!!

إذ يثبتون من ذلك في حال واحدة ما ينفون، وينفون من مقالهم في حال واحدة ما يثبتون.

ولله تبارك وتعالى من الحجة والرد، في كتابه على من قال عليه بالولد، ما يكثر عن الله عن أن نحصيه أو نعدده، أو يدرك مدرك سوى الله[٤] أمده، وكفى بما ذكرنا والحمد لله حجة وردا، على من زعم أن لله تبارك وتعالى ولدا، من فرق النصارى واليهود، [٥] وأهل الفرية على الله والجحود، ممن جعل لله -سبحانه ندا أوضدا، وجعله والدا[٦] أو ولدا، فليفهم حجج الله في ذلك كله من كان لله موحدا، وليتفقد تناقض قولهم فيه وفساده، وإحالته واختلافه، يجد قولا محالا فاسدا، متناقضا مختلفا.

وفيه ما يقول الله سبحانه، لنبيه صلى الله عليه وآله ورفع شأنه: ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ ﴾ [الكهف:٤-٦]. فأخبر

---

(١) في (ج): أو من أب.

(٢) في (د): مثله سواء خلقا. وفي (ج): خلقا مختبلا. وفي (ج) و (د): فمتى جعلوا.

(٣) في (أ) و (ج) و (د): عبدا لله. وفي (ب): عند الله. وما أثبت هو الصواب، والله أعلم.

(٤) في (ج) و (د): الله أبداً أمده.

(٥) لقولهم: عزيز بن الله.

(٦) في (ج): مولودا.

سبحانه بأسف رسوله، صلى الله عليه وآله، من قولهم على الله سبحانه بالفاسد المحال، وبأ خبث ما يقال من متناقض الأقوال، ونبأ الله جميع عباده، بجهلهم لقولهم فيه وفساده، بقوله سبحانه: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝﴾، ووجدنا ما قال الله من كذبهم فيه وقلة علمهم لازما واجبا، وكان ذلك على ما قال به من اهل الكتاب، أوكَدُ لما[1] يقولون به من ربوبية رب الأرباب، فكلهم يثبت لله الربوبية، ويصحح له الوحدانية، وجميعهم - وإن زعم أن لله ولدا - يقر بربوبيته ووحدانيته، ويشهد له بدوامه وأزليته، التي لا يصح لهم أبدا ما يقولون به منها، إلا بتركهم لمقالتهم في الولد والرجوع عنها، ولن يرجعوا عن ذلك مصارحة أبدا، وإن هم قالوا أن قد اتخذ الله ولدا، لأن في رجوعهم عن القول لله بالوحدانية والأزلية، لحوقهم عند أنفسهم بقول[2] أهل الجاهلية، من عبدة الأوثان، والنجوم والنيران، وذلك فما لن يقولوه، وإن لم يعرفوا الله وجهلوه، لفساد ذلك عندهم وشناعه، وبُعْد إمكان ذلك في الله وامتناعه، ولذلك ما يقول جلَّ جلالُهُ، عن أن يصح عليه تشبيه شيء[3] أو يناله، في أزلية قديمة أو ذات، أو صفة ما كانت من صفات، إذ في ذلك، لو كان كذلك، إشراكُ[4] غيره معه في الإلهية، إذ كان شريكا له في القدم والأزلية.

فتبارك الله الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، وجل ربنا عن أن يكون له في شيء كفؤ أو نظير! وأنى وكيف يكون خلق كخالقه؟! وهل يصح من ناطق بهذا لناطقه؟! لا ولو تظاهر الخلق جميعا عليه، لما صح لهم والحمد لله أبدا منطق فيه.

---

(١) في (ب): ما.

(٢) في (ج): لقول.

(٣) في (ج): تشبيه له بشيء.

(٤) في (ج): اشتراك.

[أدب الحوار]

وبَعدُ: فلا بد لمن أنصف خصما في منازعته له ومجادلته، من ذكر ما يرى الخصم أن له فيه حجة من مذهبه ومقالته، فإذا ذكر ذلك كله، بان ما فيه عليه وله، فكان ذلك لباطله أقطع، وفي الجواب له أبلغ وأجمع.

والنصارى فهم خصماؤنا في الله، فلا بد من تبيين ما افتروا فيه على الله، وهم ممن قال الله فيهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ ﴾ [الشورى:١٦]. ومن الذين قال فيهم: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ ﴾ [الحج:١٩]. فهم في ذلك كغيرهم من كفرة الأمم.

فليفهم من قرأ كتابنا هذا ما نصف فيه من قولهم كله فسنصفه، بما يعلمه علماء كل فرقة منهم إن شاء الله ويعرفه، وسنستقصي لهم في كله ما استقصوا لأنفسهم من المقال، ثم نجادلهم فيه على الحق بالتي هي أحسن وأبلغ في الجدال، وندعوهم إلى سبيل ربنا وربهم بالحكمة والبينة، ونعظهم إن شاء الله بالمواعظ البليغة الحسنة، فإن الله سبحانه يقول لرسوله، صلى الله عليه وعلى آله: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل:١٢٥]، فنستعصم الله في ذلك كله بعصمة الهداة المسترشدين[1].

[مذاهب النصارى المتفق عليها]

وهذا كتاب ما حددت النصارى من قولها، قد استقصينا فيه جميع أصولها، فليفهم ذلك إن شاء الله منها، من أراد فهمه من الأمم عنها.

زعمت النصارى كلها: أن الله سبحانه ثلاثة أشخاص مفترقة، وأن تلك الأشخاص الثلاثة كلها طبيعة واحدة متفقة، وقالوا: تلك الثلاثة في درك يقين النفس،

(١) في (ب) و (د): المرشدين. وفي (د): الراشدين.

أب وابن وروحٌ قدس.

قالوا: فالأب غير مولود، والابن فابن وولد مولود، وروح القدس فلا والد ولا مولود، وكل واحد من الثلاثة بما قلنا فموجود.

وقالوا: إن هذه الأشخاص الثلاثة لم تزل جميعا معا، لم يسبق بعضها في الوجود بعضا، وإن ما ذكروا[١] من الأب والروح والولد، لم يزالوا كلهم في اللاهوت وملك واحد، ليس بين الثلاثة كلها تفاوت في الإلهية، ولا في قِدَم ولا قدرة ولا ملك ولا مَشِيَّة، وإن الثلاثة كلها واحد في الطبيعة والذات، [٢]وإن هذا الواحد في الطبيعة ثلاثة في الأشخاص المفترقات، [٣]وذلك كالشمس، فيما يدرك منها بالحس، التي هي شمس واحدة في كمالها وذاتها، وثلاثة متغايرة في حالها وصفاتها، كل واحد منها غير الآخر في شخصه وصفته، وإن كان هو هو في ذاته وطبيعته.

فمن ذلك زعموا أن الشمس في عينها كالأب، وضوءها فيها كالابن، وحرَّها منها كالروح، ثم هي بعدُ وإن كانت لها هذه العدة، فشمس لا يشك فيها أحد واحدة، لأن الشمس إن فارقها ضوءها لم تُدع شمسا، وكذلك إن فارقها حَرُّها لم تُدع أيضا شمسا، وإنما تسمى شمسا وتُدعا، إذا كان هذا كله فيها مجتمعا.

وكذلك الانسان فإنه وإن كان في الانسانية واحدا، فإنا قد نراه وترونه أشياء كثيرة عددا، منها نفسه وجسده، وحياته ومنطقه، فجسده غير نفسانيته، و منطقه غير حياته، لأنه ليس يقدر أحد أن يزعم أن الحياة هي المنطق، ولا أنهما جميعا واحد متفق، لأن كثيرا من الأحياء لا يتكلم ولا ينطق.

قالوا: ولسنا نريد بالمنطق القول الذي يُسمع سماعا، ولكنا نريد الفكر الذي جعله الله في الانسان غريزة وطباعا، فطرة[٤] خاصة في الانسان، لا في غيره من الحيوان،

---

(١) في (ج): ما ذكرنا. وفي (د): ما ذكر.

(٢) سقط من (د) و (ج) و (د): والذات.

(٣) في (ج) و (د): المفترقة.

(٤) في (ج) و (د): وفطرة.

كالحيوان الذي جُعلَ[١] من البهائم وغيرها، من نوابت الأرض وشجرها، ولو كانت الحياة هي المنطق، لكان كل حي من الأشياء ينطق، فَنَطَقَ جميع البهائم، كما ينطق بنو آدم.

قالوا: فلما لم يكن الأمر كذلك، دل على ما قلنا به من ذلك، فالأب والابن وروح القدس، كان دركهم بعقل أوحس، فقد[٢] صاروا في الذات والطبيعة واحدا فردا، وفي الأقانيم التي هي الأشخاص ثلاثة عددا، فالطبيعة تجمعهم وتوحدهم، والأقانيم تفرقهم وتعددهم، فالأب ليس بالابن والابن فليس بالروح، وما قلنا به من هذا فبيِّنٌ مشروح، فهم كلهم بالطبيعة والذات واحد، وهم في الأ قانيم ثلاثة روح وابن وأب والد، لأن الأب والد غير مولود والابن فمولود غير والد، والروح فثالث موجود، لا والد ولا مولود.

قالوا: ثم إن هذه الأ قانيم الثلاثة لم تزل جميعا معا ثلاثة عددا، لم يسبق في الوجود والأزلية والقدم واحدٌ منها واحدا، أُنزل واحد منها وهو الابن إلى الأرض رأفة بالبشر والإنس، عن[٣] غير مفارقة منه للأب ولا لروح القدس، إلى مريم العذراء، فاتخذ منها حجابا وسترا، فتجسد منها بجسد كامل في جميع إنسانيته، فتبدَّى به وظهر فيه لأَعين الناظرين عند معاينته، فأكل كما يأكل الإنسان وشرب، وساح على قدميه ودأب وتعب، وأسلم نفسه رأفة ورحمة بالبشر للصَّلب، ولِمَا صار إليه لكرمه وحلمه من الأذى والنصب.

[مذاهب النصارى المختلفة]

ثم اختلفت النصارى[٤] بعدُ في الابن والولد، وما كان من تجسده بما زعموا من الجسد.

---

(١) في (ج): جعل الله في البهائم.

(٢) في (ج) و (د): قد.

(٣) في (ج): من. وسقط من (د): عن.

(٤) قال الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام في الشامل: (وأما النصارى فحكى نقلة الأقوال، إن مذاهب النصارى لا تنضبط، وهي غير منحصرة حتى قال بعض النقلة لمذاهبهم ليس شيء أغلظ علي من =

حكايــة أقــاويل النصارى، لاضطرابها وكثرة تناقضها، وكفى بمذهبٍ بطلانا هذه خلاصته، وثمرته وثُقَاوَتُه، وهم على ما اشتهر عنهم أربع فرق:

الأولى: الملكانــية، وهــم أقدم فرق النصارى مذهباً، وقد قالوا بأن الله تعالى، واحد بالجوهرية ثلاثة بالأقنومــية، وان الاتحاد لعيسى عليه السلام، ما كان من حيث أنه انسان معين، بل إنما وقع الاتحاد بالانسان الكلي.

الثانــية: اليعقوبية، وهم القائلون بأن الاتحاد إنما كان من حيث الذات، حتى قالوا: المسيح جوهر من جوهــرين، وأقــنوم من أقنومين، ناسوتي ولاهوتي، وأنهما امتزجا حتى صار منهما شيء ثالث، كما تمتزج النار بالفحمة، فيصير منهما شيء ثالث وهو الجمرة.

الثالثة: النسطورية، وهم القائلون بأن الاتحاد إنما كان من جهة المشيئة، وقال بعضهم معنى الاتحاد هو: إن الكلمة جعلته هيكلاً وادَّرعته ادَّراعا، وكذلك قالوا: المسيح جوهران أقنومان.

الــرابعة: هؤلاء الأرمنوسية، فإنهم زعموا أن عيسى عليه السلام، كان عبدا لله تعالى اصطفاه، ولكنه اتخذه ابنا له على سبيل التشريف، هذا ما ذكره الإمام يحيى عليه السلام من بيان فرقهم.

قــال: واشتهر على ألسنة المتكلمين أن النصارى يقولون: إن ا لله واحد بالجوهرية ثلاثة بالأقنومية. فأمــا وصفهم الله تعالى بالجوهرية، فالخلاف فيه ليس إلا من جهة اللفظ، لأنهم متفقون على أن الله لــيس بمتحيز، وأنه تعالى منزه عن المكان والجهة، ومعنى وصفه بكونه جوهراً عندهم، أنه قائم بنفسه ليس بمفتقر إلى غيره.

وأما الأقنوم فهو: اسم سرياني. ومعنى الأقنوم عندهم: الشيء المتفرد بالعدد. والأقانيم عندهم ثلاثة: أقــنوم الآب، وهذا ذات الباري تعالى. وأقنوم الإبن، وهو الكلمة. وأقنوم روح القدس، وهو الحياة. وقــد تخبط الناس في معرفة مقاصدهم، بهذه الأقانيم، فذهب بعضهم إلى أن هذه الأقانيم ذوات قائمة بأنفســها، وكل أقنوم منها مستقل بنفسه، وذهب آخرون منهم إلى أنها أشخاص. وقال قائلون: إنها وجوه وصفات، إلى غير ذلك من التفرق والخلاف.

قال: وكلامهم في هذه الأقانيم في غاية الخبط والاضطراب، لا تستقر له قاعدة، ولا يعقل له حقيقة.

قــال: واعلم: أن الأشبه عند التحقيق أن مراد النصارى من هذه الأقانيم التي زعموها هو هذه المعاني التي يثبتها هؤلاء الأشعرية، وبيانه أن النصارى يعتبرون في تقرير مذهبهم وقولهم، بهذه الأقانيم شرائط ثلاث:

الأولى: وحدة الذات، فإن عندهم أن الله تعالى، واحد بالجوهرية.

الثانــية: أن الصــحيح من مذهبهم أن هذه الأقانيم عندهم ذوات مستقلة بأنفسها، ليست من قِبلَ الأحوال والصفات، بل ذوات على حيالها منفردة.

الثالثة: أن هذه الأقانيم متعددة في أنفسها، وأعدادها ثلاثة كما سبق، وهذه الشرائط الثلاث لا توجد

=

فقالت فيه الروم، وهو قولها المعلوم: إن الأ قنوم[1] الإلهي الذي لم يزل موجودا، ومن قبل الدهور من الأب مولودا، أُنزل إلى مريم العذراء فأخذ منها طبيعة بغير أقنوم فكان لطبيعتها أقنوما، فعمل[2] بطبيعتها التي أخذ منها كل ما كان لها في طبيعتها معلوما، فنام كما كانت تنام نومها، وإن لم يكن أقنومه أقنومها، وفعل من أفعال طباعها فعلها، وإن لم يكن أصله في الناسوت أصلها. قالوا: فعمل بطبيعتها فكان المسيح إنسانا تآما بطبيعتين، وإن كان أقنوما واحدا لا اثنين، والمسيح فهو ابن الله الأزلي المولود، وعَمَلُ الطبيعتين جميعا فهو فيه موجود. قالوا: فإذا سُرَّ أو بكى، أو ضحك أو اشتكى، - وكلهم يقر ولا يشك، أن قد كان يبكي ويضحك - فكل ما

على الكمال، إلا في مذهب الأشعري، فإن ذات الله عندهم هي أصل لهذه المعاني، وهو غير متعدد، وزعموا أيضا أن هذه المعاني مستقلة بأنفسها ذواتا على انفرادها، وهي القدرة، والعلم، والحياة، وغيرها. وقالوا أيضا: إن هذه المعاني متعددة في أنفسها، فزعم بعضهم أنها سبعة، وزعم بعضهم أنها ثمانية، فحصل من هذا أن الشرائط التي اعتبرتها النصارى في قولهم بالأقانيم، لا توجد إلا في مذهب هؤلاء الأشعرية، فهم يضاهونهم في مقالتهم، ويكرعون معهم في آجن ضلالتهم.

قال: وقد فسر بعض النقلة من أهل المقالات كلام النصارى وقولهم بالآب، والابن، وروح القدس، بما تقوله الفلاسفة من أنه تعالى عقل وعاقل ومعقول، فهو من حيث أنه عقل لذاته أقنوم الآب، ومن حيث أنه عاقل لذاته أقنوم الابن، ومن حيث أنه معقول لذاته أقنوم روح القدس.

قال: واتفقت آراء الفرق النصرانية على القول بالاتحاد، ثم اختلفوا في كيفيته، فقال بعضهم: إن الاتحاد كان بامتزاج الذاتين.

وقال بعضهم: الاتحاد بالحلول.

وزعم بعضهم: أن الاتحاد كان بالانسان الكلي.

وبعضهم قال: الاتحاد بالانسان الجزئي، إلى غير ذلك من التفرق والنزاع، تعالى الله عن سخيف نحو هذه المقالات، التي أذعنت لها السماء بالانفطار، والأرض بالتشقق، والجبال بالانحدار ﴿أن زعموا للرحمن ولداً، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً، إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً﴾.

(١) الأقنوم: اسم سرياني ، ومعناه الأصل، والشيء المتفرد كما سبق.

(٢) سقط من (أ) و (د) و (د): فعمل.

كان من ذلك كله وما[١] أشبهه مما في طبائع[٢] الإنس فمن عمل الطبيعة الانسانية، وما كان من إحيائه الموتى وإبرائه للكُمْه والبُرص ومثله فمن عمل الطبيعة الإلهية.

وقالت اليعقوبية[٣]: إن الابن الذي لم يزل، زال من السماء إلى الأرض ونزل،

---

(١) في (ج): ومن.

(٢) في (ج): طباع.

(٣) النصرانية هي الديانة المسيحية التي أنزلت على عيسى عليه السلام، مكملة لرسالة موسى عليه السلام، متممة لما جاء في التوراة من تعاليم، موجهة إلى بني إسرائيل، داعية إلى التهذيب الوجداني والرقي العاطفي والنفسي، لكنها سرعان ما فقدت أصولها، مما ساعد على امتداد يد التحريف إليها حيث ابتعدت كثيراً عن صورتها السماوية الأولى، لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

زكريا عليه السلام: كان واحداً من أنبياء بني إسرائيل، كرس نفسه لخدمة الهيكل المقدس في فلسطين، وقد اختير ليكون كافلاً لمريم، وقد وهبه الله تعالى ـ على الكِبَر ـ يحيى عليه السلام.

يحيى (يوحنا): واحد من أنبياء بني إسرائيل، كان يقوم بتعميد الناس في نهر الأردن ليطهرهم من الخطايا والذنوب، وقد قام هو نفسه بتعميد **عيسى** عليه السلام، مات مقتولاً بأمر من ملك اليهود بفلسطين (هيردوس) بسبب معارضته إياه في زواجه من ابنة أخيه.

مريم ابنة عمران: عمران هو أحد عظماء بني إسرائيل، وقد كانت زوجته عاقراً فرزقها الله بمريم، فنذرتها لخدمة الهيكل والعبادة فيه، أما مريم فقد كانت صالحة وطاهرة، وقد اصطفاها الله على نساء العالمين.

عيسى عليه السلام: ولد في بيت لحم من أمه مريم، من غير أب، إذ نفخ الله فيها من روحه فكان ميلاده حدثاً عجيباً على هذا النحو، ليلقي بذلك درساً على بني إسرائيل الذين غرقوا في الماديات وفي ربط الأسباب بالمسببات، بُعث عيسى عليه السلام نبياً إلى بني إسرائيل مؤيداً من الله بعدد من المعجزات الدالة على نبوته، فمن ذلك.

أنه كان يخلق لهم من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله.

وكان يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله.

وكان يحيي الموتى بإذن الله.

وكان يخبر الناس بما يأكلون وما يدَّخرون في بيوتهم بإذن الله.

وقد أيده الله بمائدة من السماء أنزلها عليهم لتكون عيداً لأولهم وآخرهم.

غضب اليهود عليه فأغروا به الحاكم الروماني الذي تجاهلهم أولاً، ثم كذبوا وتقوَّلوا مما جعله يصدر =

أمراً بالقبض عليه وإصدار حكم بالاعدام ضده.

ألقى الله شبه عيسى وصورته على رجل من أصحابه يقال: إنه (يهوذا الإسخريوطي) فنفذ الحكم فيه، أما عيسى فقد توفاه الله بعد ذلك ورفعه إليه.

الحواريون الاثنا عشر كما هم مذكورون في إنجيل متّى:

١ ــ سمعان المعروف باسم بطرس
٢ ــ اندرواس أخو سمعان.
٣ ــ يعقوب بن زبدي.
٤ ــ يوحنا أخو يعقوب.
٥ ــ فيليبس.
٦ ــ برنو لماوس.
٧ ــ توما.
٨ ــ متى العشار.
٩ ــ يعقول بن حافي.
١٠ ــ لباروس الملقب تدّاوس.
١١ ــ سمعان القانوني (الغيور).
١٢ ــ يهوذا الإسخريوطي.

ــ وهناك الرسل السبعون الذين يقال بأن المسيح قد اختارهم فأرسلهم ليعلموا المسيحية.

ــ وهناك المائة والعشرون الذين يقال بأن بطرس قد خطب فيهم فامتلأوا بالروح بعده وراحوا يدعون للنصرانية، وعن طريق هؤلاء اختير بالقرعة بدل ليهوذا فوقعت القرعة على متياس الذي أكمل الاثني عشر.

ــ بولس (شاول): لقد كان لهذا اليهودي الخبيث، الذي دخل النصرانية ــ دورٌ كبير في تحطيم الاتجاهات الصحيحة للمسيحية بإدخاله فكرة التثليث والقول بألوهية المسيح، وأنه قام من الأموات، وصعد ليجلس عن يمين أبيه، كما ابتكر خرافة العشاء الرباني وغفران الذنوب مستمداً ذلك من الفلسفات الإغريقية والوثنية، ونادى بألوهية الروح القدس، ودعا إلى عدم ضرورة الختان، واخترع قصة الفداء، وهو الذي نقل المسيحية من كونها ديناً خاصاً ببني إسرائيل إلى جعلها ديناً عالمياً، لقد كتب أربعة عشر سفراً تعليمياً من أصل إحدى وعشرين رسالة تشكل مجموع الرسائل التي تعد مصدراً تشريعياً في النصرانية.

الأفكار والمعتقدات:

أولاً: كتبها وأناجيلها:

ــ **التوراة:** وهو العهد القديم الذي يعد أصلاً للديانة النصرانية.

ــ **العهد الجديد:** أي الإنجيل، والأناجيل المعتبرة التي اعترفت بها الكنائس في القرن الثالث الميلادي أربعة هي:

إنجيل متى: وهو أحد التلاميذ الاثني عشر، دُوِّنَ الإنجيل باللغة العبرية أو بالسريانية، وأقدم نسخة عثر عليها كانت باللغة اليونانية، كما أن هناك خلافاً حول مَنْ دَوَّنَ الإنجيل ومَنْ ترجمه.

إنجيل مرقص: كاتبه يوحنا الذي اختير من السبعين، وقد كان رجلاً نشيطاً في نشر النصرانية في

=

أنطاكية وشمال أفريقيا ومصر وروما وقد قتل حوالي عام ٢٦م.

إنجـــيل لوقا: طبيب أو مُصَوِّر من أصل يهودي، كان مرافقاً لبولس في حله وترحاله، وهو ليس من تلاميذ المسيح.

إنجـــيل يوحنا: وهو حواري ابن صياد، كان المسيح يحبه، بعضهم يقول بأنه شخصية مجهولة، انفرد بالقول بالتثليث وبألوهية المسيح في ذلك الوقت المبكر من تاريخ النصرانية.

ـ يلاحظ على الأناجيل الأربعة أنها ليست من إملاء السيد المسيح عليه السلام مباشرة، وأن كاتبيها ليســـوا على مستوى من الأهلية ليكونوا علماء دين، كما أن أصولها ضائعة ولا تحمل أقل مما توجبه شروط الرواية التي يستلزمها كتاب سماوي ديني.

ـ **أمـــا الرسائل:** فهي الأسفار التعليمية التي توضح النصرانية المعاصرة أكثر من الأناجيل، وقد دَوَّنها رجال مشهورون، وهي تعنى بتفسير مظاهر السلوك وأنواع الطقوس في الحياة النصرانية.

ـ **إنجـــيل برنابا:** يعرف بابن الواعظ وهو لاوي قبرصي، طاهر نقي، وهو خال مرقص، وأول نسخة اكتشفت منه كانت في مكتبة البابا سكتس الخامس بروما، لكنه يختلف عن الأناجيل الأربعة بما يلي:

(الله) عنده هو رب العالمين خالق السموات.

الذبيح من أبناء إبراهيم إنما هو إسماعيل لا إسحاق.

يبشر بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

لا يقول بصلب المسيح بل يؤكد بأن الله قد ألقى الشبهَ على يهوذا الإسخريوطي.

يحث على الختان.

يعتبر عيسى نبياً لا أكثر. ولهذا فالمسيحيون لا يعترفون بهذا الإنجيل.

هذا وقد تم نقل هذا الإنجيل إلى العربية وطبع بها.

ثانيا: المجامع النصرانية:

هـــي مجالس شورية تعقد بين الحين والحين لسن القرارات وإصدار الفتاوى، فهي هيئة تشريعية تحل وتحرم، ومن أهم هذه المجامع:

مجمع نيقية ٣٢٥م: قالوا فيه بأن المسيح إله فقط.

مجمع القسطنطينية الأول ٣٨١م: قرروا فيه بأن الروح القدس إله.

مجمع أفسس الأول ٤٣١م: قالوا فيه بأن للمسيح طبيعيتين لاهوتية وناسوتية.

مجمع خلقيدونية ٤٥١م: قالوا فيه بأن للمسيح طبيعتين ومشيئتين.

مجمع رومه ١٨٦٩م: قرروا فيه بأن البابا معصوم.

ـ تتابعـــت المجامع، وما تزال إلى يومنا هذا، ومن أواخرها مجمع روما ١٨٦٩م والمجمع الإقليمي في =

جاكـــرتا ١٩٦٧م الذي عقد لتوقيع ميثاق بين كل الطوائف، للتحالف على مواجهة المسلمين بكلمة واحدة في الاجتماعات والمحافل الدولية.

ثالثاً: الفِرَقُ النصرانية:

الموحدون وهم:

ـ أتباع آريوس الذي كان يقول بأن الأب وحده هو الله، والابن مخلوق له.

ـ بولـــس الشمشاطي وأصحابه في انطاكية: يقولون بأن عيسى عبدُ الله ورسولُه وهو واحد من أنبياء الله عليهم السلام.

ـ النســـطوريون: وهم أصحاب نسطور بطريرك الإسكندرية سنة ٤٣١م، والذي قال بأن مريم لم تلد إلا الإنسان، فهي بذلك أم لإنسان وليست أماً لإله، ومذهب النساطرة وضع الأساس للقول بطبيعتين في المسيح.

ـ مذهـــب الكـــنائس الشرقية: ((الأرثوذكس)) وهو رد فعل لعقيدة نسطور، إذ أعلنوا في مجمع عقد بمدينة أفسس بالأناضول سنة ٤٣١م ووافقوا فيه على عقيدة البابا كيرلس بطرس الإسكندرية، والتي تقضي بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة.

ـ مذهب الكاثوليك: وهو مذهب الطبيعتين والمشيئتين متأثر بمذهب النساطرة، وقد اعتنقت روما هذا المذهب واتخذت به قراراً في مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م.

ـ مذهب اليعاقبة: يقولون بأن للمسيح طبيعة واحدة وهي التقاء اللاهوت بالناسوت.

ـ مذهـــب الموارنـــة: وهو مذهب منسوب لرجل اسمه يوحنا مارون، الذي دعا سنة ٦٦٧م إلى أن للمسيح طبيعتين، ولكن له مشيئة واحدة وذلك لالتقاء الطبيعتيْن في أقنوم واحد.

ـ مذهـــب البروتســـتانت: وتسمى كنيستهم ((الإنجيلية)) إذ إنهم يتبعون الإنجيل دون غيره، وفهمه لديهـــم ليس مقصوراً على رجال الكنيسة، إنها تمثل ثورة في الفكر النصراني، بدأها آريوس في القديم مروراً بنسطور وانتهاء بالكثيرين الذين من أبرزهم لوثر كنج(١٤٨٢ ـــ ١٥٢٩م) وهم يستنكرون حـــق الغفـــران والاستحالة ومنع الصلاة للموتى وقصر سلطان الكنيسة في الوعظ والارشاد، ومنع استعمال لغة غير مفهومة في الصلاة.

ـ بعد انعقاد المجمع الثامن ٨٧٩م انقسمت الكنائس إلى قسمين رئيسيين:

الكنيسة الغربية اللاتينية البطرسية ورئيسها البابا بروما.

الكنيسة الشرقية اليونانية الأرثوذكسية ورئيسها بطريرك القسطنطينية.

وسبب الانقسام هو السؤال التالي:

((هل الروح القدس منبثق عن الأب؟ وهو رأي الكنيسة الشرقية)).

((أم أن الروح القدس منبثق عن الأب والابن معاً؟ وهو رأي الكنيسة الغربية)).

=

رابعاً: في المعتقدات:

ـ **الألوهـية والتثليث:** يعتقدون بوجود إله خالق عظيم، لأنهم كتابيون أصلاً لكنهم يشركون معه الابن (عيسى)، والروح القدس (جبريل)، وبين الكنائس تفاوت عجيب في تقرير هذه المفاهيم وربط بعضها مع بعض، مما يسمونه الأقانيم الثلاثة ويفسرونه بأنه وحدانية في تثليث وتثليث في وحدانية.

ـ **الديـنونة:** يعـتقدون بأن الحساب في الآخرة سيكون موكولاً لعيسى ابن مريم، لأن فيه شيئا من جنس البشر مما يعينه على محاسبة الناس على أعمالهم.

ـ **الصلب:** المسيح في نظرهم مات مصلوباً فداء عن الخليقة، ذلك أن الله لشدة حبه للبشر من ناحية ولعدالـته من ناحية أخرى، فقد أرسل وحيده ليخلص العالم من خطيئة آدم حينما أكل من الشجرة المحرمة، وأن عيسى قد صلب عن رضى تام فتغلب بذلك على الخطيئة، وأنه دفن بعد صلبه، وأنه قام بعد ثلاثة أيام متغلباً على الموت ثم ارتفع إلى السماء.

ـ **تقديس الصليب:** يعتبر الصليب شعاراً لهم، وهو موضع تقديس الأكثرين، وحمله علامة على أنهم من أتباع المسيح.

ـ **الصوم:** هو الامتناع عن الطعام الدسم وما فيه شيء من الحيوان أو مشتقاته، مقتصرين على أكل البقول، وتختلف مدته وكيفيته من فرقة إلى أخرى.

ـ **الصـلاة:** لـيس لهـا عدد معلوم مع التركيز على صلاتي الصباح والمساء، وهي عبارة عن أدعية وتسابيح وإنشاد، كما أن الانتظام في الصوم والصلاة إنما هو تصرف اختياري لا إجباري.

ـ **التعمـيد:** وهـو يعني الارتماس في الماء أو الرش به باسم الأب والابن والروح القدس، تعبيراً عن تطهير النفس من الخطايا والذنوب.

ـ **الاعـتراف:** وهـو الإفضاء إلى رجل الدين بكل ما يقترفه المرء من آثام وذنوب، وهذا الاعتراف يسـقط عـن الانسان العقوبة بل يطهره من الذنب، إذ يدَّعون بأن رجل الدين هذا هو الذي يقوم بطلب الغفران له من الله.

ـ **العشـاء الرباني:** يزعمون بأن المسيح قد جمع الحواريين في الليلة التي سبقت صلبه، وأنه قد وزع عليهم خمراً وخبزاً كسَّره بينهم ليلتهموه، إذ إن الخمر يشير إلى دمه، والخبز يشير إلى جسده.

ـ **الاستحالة:** من أكل الخبز وشرب الخمر من الكنيسة في يوم الفصح، فإن ذلك يستحيل فيه وكأنه قد أدخل في جوفه لحم المسيح ودمه، وأنه قد امتزج في تعاليمه بذلك.

ـ **يحلـون** أكـل لحم الخنزير مع أنه محرم في التوراة، ويحرمون الختان مع وجوده في شريعتهم أصلاً، وأباحوا كذلك الربا وشرب الخمرة، لقد قصروا التحريم في الزنى وأكل المخنوق وأكل الدم وأكل ما ذبح للأوثان.

ـ **الأصـل** في ديانتهم الرهبانية، وهو العزوف عن الزواج، لكنهم قصروه على رجال الدين، وسمح =

للناس بزوجة واحدة مع منع التعدد الذي كان جائزاً في مطلع المسيحية.

_ **الطـــلاق:** لا يجوز للرجل أن يطلق زوجته إلا في حالة الزنى، وهنا لا يجوز للزوجين الزواج بعده مــرة أخــرى، أما الفراق الناشئ عن الموت فإنه يجيز للحي منهما أن يتزوج مرة أخرى، كما يجوز التفريق إذا كان أحد الزوجين غير نصراني.

_ **الــتكاثر والنسل:** يحثون جماعتهم من النصارى على التكاثر، ويصبح ذلك أكثر وجوباً في المناطق التي لا يكونون فيها أكثرية.

_ **النواحي الروحية:** لقد جاءت النصرانية في الأصل لتربية الوجدان، وتنمية النواحي العاطفية، داعية إلى الزهد وعدم محاولة الثأر، مستنكرة انخراط اليهود في المادية المغرقة، يقول إنجيلهم (من ضربك على خــدك الأيمــن فاعرض له الآخر، ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك) لوقا ٢٨/٦ لكن تاريخهم مليء بالقتل وسفك الدماء.

_ **صــكوك الغفران:** وهو صك يغفر لمشتريه جميع ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر، وهو يباع كأسهم الشــركات، وقــد يمنح الشخص بناء على هذا الصك أمتاراً في الجنة على حسب مقدار المبلغ الذي يقدمه للكنيسة.

_ **الهــرطقة** ومحاربتها: لقد حاربت الكنيسة العلوم والاكتشافات، والمحاولات الجديدة لفهم الكتاب المقــدس، وصوبت سهامها إلى كل نقد، ورمت ذلك كله بالهرطقة، ومحاربة هذه الاتجاهات بمنتهى العنف والقسوة.

الجذور الفكرية والعقائدية:

_ أساســها كــتاب التوراة الذي يسمونه العهد القديم، فقد انعكست الروح والتعاليم اليهودية من خلالــه، ذلك أن النصرانية قد جاءت مكملة لليهودية، وهي خاصة بخراف بني إسرائيل الضالة، كما تذكر أناجيلهم.

_ لقد أدخل أمنيوس المتوفى سنة ٢٤٢م أفكاراً وثنية إلى النصرانية، بعد أن اعتنق المسيحية وارتد عنها إلى الوثنية الرومانية.

_ عــندما دخــل الــرومان في الديانة النصرانية نقلوا معهم إليها أبحاثهم الفلسفية وثقافتهم الوثنية، ومزجوها بالمسيحية التي صارت خليطاً من كل ذلك.

_ لقــد كانــت فكرة التثليث التي أقرها مجمع نيقية ٣٢٥م انعكاساً للأفلوطنية الحديثة، التي جلبت معظــم أفكارها من الفلسفة الشرقية، لقد كان لأفلوطين المتوفى سنة ٢٧٠م أثر بارز على معتقداتها، فــأفلوطين هــذا تتلمذ في الاسكندرية، ثم رحل إلى فارس والهند، وعاد بعدها وفي جعبته مزيج من ألوان الثقافات، فمن ذلك قوله: بأن العالم في تدبيره وتحركه يخضع لثلاثة أمور:

المنشئ الأزلي الأول.

=

رأفة منه ورحمة بالانسان، وتعطفا منه على البشر بالاحسان، فأخذ من مريم العذراء جسدا، فتجسد به فصارا جميعا واحدا، وقالوا: ألا ترون الانسان من روح وجسد، ثم هو يُدعَا إنسانا باسم واحد، فترونهما وإن سُميا بالإنسان، فليس يقال لهما: إنهما في الانسانية اثنان، ولكن يقال: إنه إنسان واحد، وهو كما تعلمون روح وجسد. قالوا

العقل المنبثق عنه.

الروح التي هي مصدر تتشعب منه الأرواح جميعاً.

وهو يضع بذلك أساساً للتثليث، إذ إن المنشئ هو الله، والعقل هو الإبن، والروح هو الروح القدس.

ـ تأثرت النصرانية بديانة متراس التي كانت موجودة في بلاد فارس قبل الميلاد بحوالي ستة قرون، والتي تتضمن تعاليمها قصة مثيلة لقصة العشاء الرباني.

ـ الهندوسية فيها تثليث وأقانيم وصلب للتكفير عن الخطيئة، وزهد ورهبنة وتخلص من المال للدخول في ملكوت السموات، والإله لديهم له ثلاثة أسماء فهو (فشنو) أي الحافظ. وسيفا (المهلك). وبراهما (الموجد). وكل ذلك انتقل إلى النصرانية بعد تحريفها.

ـ البوذية التي سبقت النصرانية بخمسة قرون انتقلت بعض معتقداتها وأفكارها إلى المسيحية، وإن عِلْمَ مقارنة الأديان يكشف تطابقاً عجيباً بين شخصية بوذا وبين شخصية المسيح عليه السلام (انظر محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية).

ـ عقيدة البابلين القديمة خالطت النصرانية، إذ أن هناك محاكمة لبعل إله الشمس، تماثل وتطابق محاكمة المسيح عليه السلام.

ـ نستطيع أن نقول بأن النصرانية قد أخذت من معظم الديانات والمعتقدات التي كانت موجودة قبلها، مما أفقدها شكلها وجوهرها الأساسي الذي جاء به عيسى عليه السلام من لدن رب العالمين.

الانتشار ومواقع النفوذ:

ـ تنتشر النصرانية اليوم في معظم بقاع العالم، وقد أعانها على ذلك الاستعمارُ والتنصيرُ، الذي تدعمه مؤسسات ضخمة عالمية ذات إمكانات هائلة.

ـ لقد انتشرت الكاثولوكية بشكل كبير في إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال.

ـ أما الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية فمعظم انتشارها في روسيا والبلقان واليونان، ومقرها الأصلي في القسطنطينية، ويتبعها عدد من الكنائس الشرقية المستقلة.

ـ أما الكنيسة البروتستانتيه فمركز انتشارها ألمانيا وانجلترا والدانمرك وهولندا وسويسرا والنرويج وأمريكا الشمالية. الموسوعة الميسرة/٤٩٩.

وكذلك المسيح الذي هو اجتماع اللاهوت والناسوت[١] يسمى مسيحا، وهو ابن الله الذي لم يزل أفما ترون هذا قولا فيما ذكرنا وقسنا بيِّنا صحيحا.

وقالت النسطورية: إن الابن الذي لم يزل بمحبته نزل رأفة وكرما، فتجسَّد من مريم عند نزوله جسدا كاملا تآما، بطبيعة وقنومية، [٢]من إنسانية وآدمية، فكان المسيح طبيعتين وقنومين، بعد تجسده بالجسد تآمين. وقالوا: فنحن إذا رأيناه يأكل ويشرب، ويجيء في الأرض ويذهب، ويَنصَب ويشتكي، ويضحك ويبكي، جعلنا ذلك كله، وما رأينا منه ومثله، من الناسوت وإذا[٣] نحن رأيناه يحيي الموتى، ويبرىء المرضى، ويمشي على الماء، جعلنا ذلك للاهوت.

[المذهب الجامع للنصارى]

وقالت فرق النصارى كلها مع اختلافها، وافتراق قولها في أوصافها، [٤] إن سبب نزول الابن الإلهي الذي نزل من السماء، رحمة للبشر ومحافظة على الرسل والأنبياء، قالوا من أجل خطيئة آدم فإنه لما أن [٥] أخطأ، وأكل من الشجرة التي نهاه الله عنها فعصى، تبرأ الله تبارك وتعالى منه، وأسلمه إلى الشيطان باتِّباعه له. قالوا فكان في حيِّز الشيطان ودار ملكه، وكذلك زعموا كان معه فيها جميع ولده، يحكم فيهم الشيطان بما أحب من حكمه، قالوا وكان فيما ملك الشيطان من آدم ونسله، أنفس كثيرة من أنبياء الله ورسله، فمن تلك الأنفس نفس نوح ونفس إبراهيم، وغيرهما من أنفس الرسل والنبيين، قالوا فتلطف الابن واحتال لاستخراج تلك الأنفس من يد الشيطان، فلبس لذلك ومن أجله جسدا آدميا، ليكون بما لبس منه عن الشيطان خفيا، فتنكر

---

(١) اللاهوت: الإله، والنا سوت: الناس.

(٢) في (أ) و (ب) و (ج): وقنومة.

(٣) في (ج) و (د): فإذا.

(٤) في (ج): أقوالها إن. وفي (د): أقوالها في أوصافها.

(٥) سقط من (ج) و (د): أن.

الابن بذلك له، لكي لا يحترس الشيطان منه، فلا يُنفِذ فيه مكره.

قالوا: فلما غلبت[١] على الناس الخطية، وحلت بها[٢] فيهم البلية، واستبان لآدم زعموا ما فعلِ الشيطان به، وما كان من غروره إياه وخديعته له، خدع عند تلك[٣] الابنُ الشيطانَ بمكره، فبلغ فيه ما أراد من أمره، فاستخرج آدم وجميع ولده، من سلطان الشيطان ويده. قالوا وذلك كله فإنما كان الابن يبذل نفسه للصلب، ولما لقي من الأذى قبله والنصَب، إحسانا من الابن [٤] إلينا وكرما، ورأفة من الابن بنا ورحما[٥].

قالوا: فاشترى الابن البشر من أبيه، بما وصل[٦] من الأذى والصلب إليه، وذلك زعموا أن أباه لم يكن في حكمه وعدله، أن يظلم الشيطان ما جعل له من آدم وولده، إن صاروا إلى طاعة الشيطان وأمره، لأنه قال للشيطان فيما يزعمون من المقال: كل من اتبعك فهو لك.

قالوا: فلذلك اشترانا الابن من أبيه بالعدل، وغلب الشيطان على ما كان في يده منا بالمكر. فلما استخرج آدم ونفوس الرسل والأنبياء، صَعد بعد فراغه من معاملة الشيطان إلى السماء، بعد أربعين[٧] يوما مرت به، بعد الذي كان من صلبه. قالوا: فجلس عن يمين أبيه تآما بكليته وجسده وجميع ما فيه من اللاهوت والناسوت، وكل ما كان فيهما ولهما من النعوت.

قالوا: وسينزل أيضاً مرة أخرى، فيدين الأحياء والأموات عند فناء الدنيا. قالوا: ولذلك آمنا بالأب والابن وروح القدس. قالوا: والأب فهو الذي خلق الأشياء بابنه،

---

(١) في (ج): غلب.

(٢) سقط من (ج) و (د): بها.

(٣) في (ج) و (د): ذلك.

(٤) في جميع المخطوطات: الابن. وأنا أعتقد أنها الأب. وإنما تصحفت والله أعلم.

(٥) في (ج): ورحمة.

(٦) في (أ) و (ب): وصل من ذلك من. وفي (د): وصل والصلب.

(٧) في (د): أربعين مرت بعد.

وحفظها بروح قدسه.

فهذا - فليعلمه من أراد علمه - جماع قول النصارى وما لبسوا من اللبس، في الأب والابن وروح القدس، وفي[١] الأ قانيم والطبيعة، وما لهم في ذلك من المقالة البديعة، التي لم يقل بها قبلهم قائل، ولم يتنازع[٢] فيها مجيب ولا سائل، وقولهم إن الثلاثة في موضع يوحدون، وفي موضع بعد التوحيد يثلثون، وفي سبب نزول الابن زعموا من أجل[٣] خطيئة ادم، وما قالوا به في ذلك من خلاف جميع الأمم، فلم نترك لهم بعد هذا من قول، يجهله منهم[٤] إلا كل جهول.

[نقض مذاهب النصارى]

ونحن إن شاء الله مبتدئون فرآدُّون، لباب فباب بما يقولون ويحددون، فليفهم ذلك من يريد مجادلتهم من أهل التوحيد والدعوة، فإنا مُقَدِّمُون إن شاء الله من ذلك باب الأبوة والبنوة.

فقائلون لهم، جميعا جوابهم[٥]: أخبرونا عن هذه الأسماء التي سميتم؟ وادعيتم من خرافات القول فيها ما ادعيتم؟! من أب زعمتم وابن وروحِ قدس، لم يدل على شيء منه قياس ولا حآسة من الحوآس الخمس، ما هذه الأسماء أسماء طبيعية ذاتية جوهرية؟! أم هي أسماء شخصية قنومية[٦]؟! أم تقولون هي أسماء حادثة عَرَضِية؟! فإنكم إن كنتم إنما[٧] سميتم الأب عندكم أبا، لأنه ولد بزعمكم ولدا وابنا، فليس هذه الأسماء طبيعية

(١) سقط من (ج): في.

(٢) في (ج): ولم ينازع.

(٣) سقط من (ج): أجل.

(٤) سقط من (ج): منهم.

(٥) سقط من (ج): جوابهم.

(٦) في (ج): اقنومية.

(٧) سقط من (ج) و (د): إنما.

ذاتية، ولا أسماء أيضا قنومية[١]شخصية، ولكنها حادثة عرضية، عرضت[٢] عند حدوث أولاد، بين الوالدين والأولاد، ولَسْنَ[٣] بأسماء طبيعية ولا أقنوم، لا في الروم ولا في غير الروم.

والطبيعية فإنما تسمى بذاتها وطباعها، [٤] وبما يكمل ذلك كله لها من اجتماعها، لأنا بالأسماء المعلقة بالعلة المشتقة من الأفعال المعتملة أعرف، [٥] لأن اسم الطبيعة غير اسم الأ قنوم، واسم القنوم[٦] غير اسم الفعل المعلوم، واسم الطبيعة ثابت، لا اختلاف فيه ولا تفاوت، إنما هو اسم لَها محدود موقَّف، [٧] لا ينصرف فيها ولا يختلف، فيدل على قنوم، [٨] ولا فعل مفعول، ولكنه اسم الشيء نفسه، يدل عليه لا على جنسه، كالأرض والسماء، والنار والماء، وأشباه ذلك من الأسماء، التي تدل [٩]على أعيان الأشياء، فهذه هي أسماء[١٠]الذات والطبائع، لا أسماء الأ قانيم والصنائع.

فأما أسماء القنومية، التي ليست بطبيعية ولا عرضية، فمثل إبراهيم وموسى، وداود وعيسى، وليس في الأسماء الطبيعية، ولا في الأسماء الشخصية القنومية، أبوة ولا بنوة، ولا فعال[١١]ولا قوة، إنما هي أسماء تدل على الأعيان، كالانسانية التي تدل على الانسان.

وفيما بينا - والحمد لله - من تحديدنا الذي حددنا في الأسماء، حجة لا يدفعها في

---

(١) في (ج): اقنومية.

(٢) سقط من (أ) و (ب) و (د): عرضت.

(٣) في (ج): فليس. وفي (د): وليست.

(٤) في (د) و (ج): بطباعها وذاتها.

(٥) في (أ) و (ب) و (د): ترك فراغا بما يسع سبع كلمات، وقال في (أ): بياض في الأم. وفي (د): كذا.

(٦) في (ج): الأقنوم.

(٧) في (ج): موقوف.

(٨) في (ج): أقنوم وعلى فعل. وفي (د): قنوم ولا مفعول.

(٩) في (ج) و (د): التي قد تدل.

(١٠) في (أ): فهذه من أسماء.

(١١) في (ج): ولا أفعال.

التسمية عندهم إلا من كان من أهل الجهل والعمى، لأن الأسماء عندهم للأشياء ثلاثة أسماء:

اسم جوهر كالأرض والسماء.

واسم قنوم، كَفُلان المعلوم.

واسم ثالث من عرضٍ وحدثٍ، يسمى به كل عارض[١] محدث.

وزعمت الفرق الثلاث من النصارى - فنعوذ بالله من الجهل بالله [٢] - أنها تجد فيما في أيديها من كتب الأنبياء أن المسيح بن مريم هو الله، وأنه هو ابن[٣] الله، فجعلوا في قولهم هذا الابن أباه، ثم رجعوا فجعلوا الأب هو إياه، [٤] غفلة وسهوا واختلافا، وعماية وتخرصا واعتسافا، تصديقا لقول الله فيهم وفي أمثالهم، ومن كان يقول من أهل الجهالة بمقالتهم، ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ ٱلْخَرَّاصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ ﴾ [الذاريات:٨-١١].

وإنما أخذت النصارى وقبلت، هذه الكتب فيما زعمت وقالت، عندما صلب عندهم المسيح صلى الله عليه من اليهود، وليس أحد من خآصتهم ولا عآمتهم عند النصارى بعدل ولا محمود، ولا تقبل شهادته على يهودي مثله، فكيف تقبل شهادتهم على الله تعالى وعلى رسله.

مع أنَّ لِمَا قالت النصارى من ذلك كله مخارجَ عندنا في التأويل صحيحة، لا يعمى عنها ولا عما بَيَّنَ الله منها إلا من لم يقبل فيها من الله بيانا ولا نصيحة، ولكن النصارى تأولت تلك الكتب بآرائها، [٥] وعلى قدر موافقة أهوائها، فضلَّت في ذلك وما تأولت منه بعمى التأويل، وأضلت من اتبعها عليه عن سواء السبيل.

---

(١) سقط من (ج) و (د): عارض.

(٢) سقط من (ج): بالله.

(٣) في (ج): الله وهو ابن. وفي (د): الله وابن.

(٤) في (ج): الأب أباه.

(٥) في (ج): بآرائهم.

فيقال إن شاء الله لهم فيما تأ ولوه من ذلك وادعوا، وافتروا في ذلك على كتب الأنبياء وابتدعوا، مما لم يسبقهم إليه أحد، ولم يقل به قبلهم مفتر ولا ملحد: إنا لم ندرك نحن ولا أنتم الأنبياء ولا المسيح بن مريم، صلى الله عليه وسلم، ولم ندرك نحن ولا أنتم أحدا من حواريه، فنسأل من أدركنا منهم عما اختلفنا نحن وانتم فيه، فتكتفوا[١] بمن أدركتم من الأنبياء عليهم السلام في التأويل، ونجتمع نحن وأنتم على الحق فيما اختلفنا فيه من الأقاويل.

[قواعد للحوار]

ولابد لنا ولكم من الانصاف، فيما وقع بيننا وبينكم من الاختلاف، فإن نحن تناصفنا ائتلفنا، وإن فارقنا التناصف اختلفنا، ثم لم نعد أبدا للائتلاف،[٢] إلا بعودة منا إلى الانصاف. والتناصف هو الحكَم العدل بعد الله بين المختلفين، والشفاء الشافي الذي لا شفاء أبدا في غيره للمتناصفين، فأنصفوا الحق من أنفسكم، تخرجوا بإذن الله بإنصافكم من لبسكم، وارفضوا للحق أهواءكم، تسعدوا في دينكم ودنياكم، وأقيموا ما أنزل إليكم[٣] من التوراة والإنجيل، واتركوا الافتراء على الله فيها[٤] بعمى التأويل، تهتدوا إن شاء الله لقصد سبلكم، وتأكلوا كما قال الله من فوقكم ومن تحت أرجلكم، وافهموا قول العزيز الوهاب، فيكم وفي غيركم من أهل الكتاب: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [المائدة:٦٦]، فكفى بهذا بيانا من الله في أهل الكتاب لقوم يعقلون.

---

(١) في (ج): فنكتفوا.

(٢) في (ج) و (د): أبدا إلى الائتلاف.

(٣) في (ب): إليكم من ربكم من. وفي (ج): إليكم ربكم في. وفي (د): الله إليكم من ربكم من.

(٤) سقط من (ج): فيها.

وليعلم مَن فَهِمَ منهم، أومن غيرهم، أن[1] فيما ذكر الله لهم من المأكل ومثله، آيةً عجيبةً ظاهرةً لمن يفهمها بعقله، تدل على أنه لم يترلها إلا علام الغيوب، الذي لا يخفى عليه شيء من سرائر القلوب، لا سيما في النصارى [2] من أهل الكتاب، وما هم عليه من الحرص والكد والاكتساب، فإنا لم نر أمة من أهل الكتاب أرغب في المأكل والمشرب، واكتناز الفضة والذهب، منهم خآصة دون غيرهم، معلوم ذلك من غنيهم و فقيرهم، ولذلك ما يقول الله سبحانه فيهم، وفي بيان ما قلنا به من ذلك عليهم: ﴿ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [التوبة:٣٤]. فرهبا لهم إلا القليل وشمامستهم، [3] تعولهم أبدا أقوياؤهم وضعفتهم. وليس من الرهبان ولا الشمامسة مَن تكلَّف في مطعمه ولا مشربه ولا كسوته ولا مصلحته كلفة، ومن كفاهم ذلك من عوآمهم وضعفتهم فقد يرى ذلك قُربة له عند من يعبدون وزلفة.

فأول ما يقال - إن شاء الله - لمن أراد الانصاف لنفسه منهم، وعند من تجري المجادلة فيما ادعوا من الكتب بين أحد من أهل التوحيد وبينهم[4]، يا هؤلاء: أنصفونا فيما ادعيتم من شهادات الكتب من أنفسكم، فلا تدعوا فيها ولا تأولوا فيها تأويلا ملتبسا يزيدكم لبسا على لبسكم، فإن شئتم تأولتم الكتب وتأولنا، على ما قد قلتم وقلنا، ولنا من التأويل مثل مالكم، وقولنا فيه يخالف أقوالكم. فإن كان ذلك أحب إليكم، فافهموا فيه ما يدخل عليكم، فلسنا ندخل عليكم فيه، إلا ما نجمع نحن وأنتم عليه.

أجمعنا نحن وأنتم جميعا كلنا، قولكم مما قلنا به من ذلك قولنا، على أن أصدق الشهادات كلها وأعدلها، خمس شهادات يلزمنا وإياكم أن نقبلها:

---

(١) في (ج) و (د): ومن غيرهم. وسقط من (أ) و (د) و (د): أن.

(٢) في (أ) و (ب) و (د): لا سيما خاصة من النصارى.

(٣) الشمامة: جمع شماس، من رؤوس النصارى الذي يحلق وسط رأسه ويلزم البيعة.

(٤) في (أ) و (د): بينه.

فأولها: زعمنا وزعمتم شهادة الله،

والثانية: فشهادة ملائكة الله.

والثالثة: فقول المسيح وشهادته.

والرابعة: فما شهدت به أمه ووالدته.

والخامسة: فشهادة الحواريين وما كانوا يقولون. فهذه خمس شهادات ليس منها ما تنكرون، وكلها فنحن وأنتم بها راضون، فيما ندعي في المسيح وتدَّعون.

فقد وجدنا ووجدتم في الأناجيل الأربعة شهادات مختلفة، كلها فيما عندنا وعندكم فقد[1] أحطتم بها وأحطنا معرفة، فيما في الإنجيل الذي يُدعا عندكم إنجيلا مثل ما لا تنكرون من قوله، في أول ما وضُع من إنجيله: (**هذا ميلاد يسوع المسيح بن داود**)[2]، فهذه شهادته وهو من الحواريين على أن أبا المسيح داود، وأن المسيح ابنه وهو منه مولود، ولهذه الشهادة في الأناجيل الأربعة نظائر كثيرة، وفي ذلك حجة عليكم لا تدفع ظاهرة منيرة.

ومنها شهادة المسيح صلى الله عليه لحواريه **أنهم بنو الأب جميعا**، [3] وأن الله أبوهم كلهم معا، وهذا يدل على أن تأويل الأبوة والبنوة، غير ما قلتم به فيها من الدعوة.

ومنها: شهادة المسيح أن **الحواريين إخوانه**[4] فإن شئتم فقولوا في نسب أو غير نسب، فلهم بذلك ماله بعد شهادته صلى الله عليه زعمتم أنه ابن الأب.

ومنها: شهادة أمه صلى الله عليها، على أنه **ابن يوسف جدها وأبيها**[5].

---

(١) في (أ) و (د) و (ج): وقد أحطتم وأحطنا.

(٢) إنجيل متّى/الإصحاح الأول.

(٣) نص الإنجيل هكذا: ولا تدعوا أبا على الأرض لأن أباكم الذي في السماوات. إنجيل متى ٩/٣٣.

(٤) نص الإنجيل هكذا: فأجاب وقال لهم: أمي وإخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها. إنجيل لوقا ٢١/٨.

(٥) نص الإنجيل هكذا: ولما أكملوا كل شيء حسب ناموس الرب، رجعوا إلى الجليل إلى مدينتهم الناصرة، وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح ممتلئا حكمة، وكانت نعمة الله عليه، وكان أبواه يذهبان =

ومنها قول فيلبس لسائل سأله، [١] إذ قال له عند مسألته عنه، هو ذلك الذي ذكره موسى في التوراة، ونَسَبَه صلى الله عليه فيها وسمَّاه، فقال: **يسوع بن يوسف**[٢]، يعرف هذا منكم كل عارف.

ومنها أيضا: شهادة يحيى التي تدل على أن معنى البنوة والولادة، إنما هو معنى المحبة والولاية والعبادة، إذ يقول: أما أولئك الذين قبلوا قوله، وسلموا فيما سمعوا منه له، فلم يولدوا من اللحم والدم، ولا من مزاج المرة والبلغم، ولكنهم - زعم - من الله وُلِدوا، وأعطوا من كرامة الله ما رضوا وحمدوا.[٣] فتأويل هذا ومثله إن كان صدق فيه، فإنما هو على ما يصح أن يكون عليه، لا على ما يستحيل في الألباب والعقول، ويفسد ويتناقض من القول في التأويل، من أن يكون الرب عبدا، و الوالد مع ولادته ولدا، وذلك أجهل الجهل، وفي ذلك المكابرة للعقل.

أَمَا سمعوا قول الملائكة لمريم، صلى الله عليهم وعليها وسلم، عندما صاروا به من البشارة بولادها، للمسيح ابنها: (**تلدين ابنا**)[٤] ولم يقولوا: تلدين ابن الله، وقالوا: (**يدعا**

كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح، ولما كانت له اثنتاء عشرة سنة صعدوا إلى أورشليم كعادة العيد، وبعد ما أكملوا الأيام بقي عند رجوعهما الصبي اليسوع في أورشليم ويوسف وأمه لم يعلما، وإذ ظناه بين الرفقة، ذهبا مسيرة يوم وكان يطلبانه بين الأقرباء والمعارف، ولما لم يجداه رجعا إلى أورشليم يطلبانه، وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل جالساً في وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم، وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته، فلما أبصراه اندهشا وقالت له أمه يا بني لماذا فعلت بنا هكذا؟ هو ذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين، فقال لهما: لماذا كنتما تتطلبانني؟ ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي. لوقا. ٢/٣٩ ٥٠.

(١) في جميع المخطوطات: فيلفس. وسقط من (ج) و (د): سأله.

(٢) نص الإنجيل هكذا: وجد نثنائيل وقال له: وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء، يسوع بن يوسف الذي من الناصرة. يوحنا. ١/٤٥ ٤٦.

(٣) نص الإنجيل هكذا: (إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله، وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل بل من الله). إنجيل يوحنا (١٢ ــ ١٣) الإصحاح الأول. ويوحنا هو يحيى.

(٤) إنجيل متى (١ــ ٢٢) بلفظ: و تلد ابنا.

يسوع ويكون عليا عظيما بالله، ويرث كرسي أبيه داود)[١] فلو كان كما يقولون لقالت الملائكة: تلدين ابن الله ويكون منك مولودا، فكان أعظم في القدر والخطر، من أن يقال: ابن البشر.

وكذلك قال المَلَكُ ليوسف زعمتم بعلِها، عندما أراد لمَّاً ظهر من حملها، من تطليقه لها وتخليته لسبيلها: (يا يوسف بن داود لا تُخَلِ سبيل امرأتك فإن الذي بها من روح الله، وهو يدعا يسوع، وبه يحيي الله شعبه من خطاياهم بإذن الله)[٢].

ومما زعموا فاعرفوه أنه دلهم، وشهد على ما ادعوا لهم، واعتقدوا من ضلال أقاويلهم، قول الله زعموا في إنجيلهم، في المسيح بن مريم، صلى الله عليه وسلم:**(هذا ابني الحبيب الصفي)**[٣]. وقول سمعان[٤] الصفا له:**(أنت ابن الله الحق)**[٥].

وما ذكروا من هذا إن صح ومثله، مما يدعون على الله وعلى رسله، فقد يوجد له تأويل، لما قالوا مبطل مزيل، لا ينكرونه ولا يدفعونه، ولا يكذبون من خالفهم فيه ولا ينازعونه.

---

(١) نص الإنجيل هكذا: وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة، إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف. واسم العذراء مريم. فدخل إليها الملاك، فقال سلام لك أيتها المنعم عليها. الرب معك. مباركة أنت في النساء. فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية. فقال لها الملاك: لا تخافي لأنك قد وجدت نعمة عند الله. وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيماً. وابن العلي يدعا ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه. ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية.لوقا١/٢٦ ٣٣.

(٢) نص الإنجيل هكذا (ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور، إذ ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلا: يا يوسف بن داود لا تخف أن تأخذ امرأتك، لأن الذي حُبِل به فيها هو من الروح القدس فستلد ابنا وند عوا اسمه يسوع، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم وهذا كله كان لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل. (إنجيل متَّى ١/٢١ـــ ٢٢).

(٣)نص الإنجيل هكذا: (هذا هو ابني الحبيب الذي سررت به). إنجيل متى ٣/١٧. وإنجيل لوقا٣/٣٢.

(٤) في (د): شمعان.

(٥) نص الإنجيل هكذا قول سمعان: فأجابه سمعان: بطرس يا رب إلى من تذهب، كلام الحياة الأبدية عندك، ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح بن الله الحي. إنجيل يوحنا ٦/٦٨ ٧٠. وإنجيل متى ١٦ ١٦.

فمن ذلك ما هم عليه وغيرهم مجمعون، لا يختلفون فيه كلهم ولا يتنازعون، من أن ملائكة الله، ومن مضى من رسل الله، لم يُسَبِّح المسيح قط ولم يعبده، [١] ولم يزعم أحد منهم أن الله ولده.

ومن تأويل ما ذكروا من الولد والابن، في زمن المسيح وكل زمن، أن الناس لم يزالوا يدعون ابنا وولدا من تبنوا وأحبوا وحظي عندهم، وإن لم يكن على طريق التناسل ولدهم، ثم لم يزل ذلك لديهم معروفا، قديما وحديثا، ولاسيما في القدماء، من أهل العلم والحكماء، فكان الحكيم منهم يقول: يا بني لمن علَّمه، ويدعو المتعلمُ باسم الأبوة مُعلِّمَه، فيقول: قد قلتَ وقلنا يا أبانا، وربما قال أحدهم: يا أبت أما ترانا.

قال بعضهم:

آباء أرواحنا الذين همُ همُ أخرجونا من منزل التلف

مَن علَّم العلم كان خير أب ذاك أبو الروح لا أبو النطف [٢]

وذلك والحمد لله في الأمم كلها فأوجد موجود، يقوله الرحيم منهم لمن ليس بابن له مولود [٣].

ومن ذلك ما كان يقول المسيح صلى الله عليه، كثيرا لا تنكره النصارى لحوارييه: (**إذ هبوا بنا إلى أبينا، وقولوا: يا أبانا أنزل من سمائك طعامك علينا**)[٤]. ومن ذلك قوله لهم، صلى الله عليه وعليهم: (**قولوا: يا أبانا تقدس اسمك، لتنزل في**

---

(١) في (ب) و (ج): لم يسبحوا المسيح. قط ولم يعبدوه.

(٢) لم أقف على البيتين فيما لدي من مصادر الأدب.

(٣) نص الإنجيل هكذا: وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه. يوحنا. ١٢/١ ١٣. ومما يؤكد معنى الأبوة بالمعنى الذي قاله الإمام قول يسوع عليه السلام. قال يسوع: ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم. وإلهي وإلهكم. يوحنا. ١٧/٢٠.

(٤) نص الإنجيل هكذا: لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض، خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم. إنجيل لوقا ٢/١١ ٣. وإنجيل متى ٩/٦ ١٢.

الأرض ملكوتك وحكمك)[١].

فهل يتوهم أحد أنه أب من الآباء يلد وينسل ويتغير ويتغذى؟! أو يصل إليه صلب أو نَصَب أو أذى؟! لا بحمد الله وكلا! وتبارك ربنا عن ذلك وتعالى! ولكنه أرحم بنا وألطف، وأعطف علينا وأرأف، من الآباء كلهم والأمهات، ومن أنفسنا فيما يهمنا من المهمات.

وقد ذكر عن بعض الحكماء، ممن مضى من أوائل القدماء، أنه كان إذا أخذ في التسبيح لله والذكر، قال: الله الذي هو في ذاته محب للبشر. وإنما يراد بالمحبة لهم، الرأفة والرحمة بهم.

وكذلك قال الرحمن الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣]. فمن أرأف بهم وأرحم؟! وأعطف عليهم وأكرم؟! ممن خلقهم مبتدئا فسوّاهم؟! وأعطاهم من نعمه ما أعطاهم؟! ثم دلّهم تعالى على الهدى، [٢]وبيَّن لهم الغيَّ والردى. لا مَن بحمد الله وفضله! فنستمتع[٣] الله بالنعم في ذلك كله.

ومما يحتج به على من كفر منهم بربه جهلا ومجانة، [٤] قول المسيح بن مريم لهم فيما زعموا من إنجيلهم أبانه[٥]: (أنا ابنه وهو أبي)[٦] وقوله: (جئتكم من عند أبي، وما سمعت عنده فهو ما أكلمكم به، وأنتم لو كنتم منه لقبلتم ما جئتكم به من أمره، ولكنكم من الشيطان وأنتم بنوه، ولذلك قبلتم قوله فلم تخالفوه، وإنما أنتم بنو الخطيئة والشيطان أبوها، وأنتم صاغرون لطاعتكم له فبنوها. فقالوا: نحن بنو إبراهيم، ورموه

---

(١) نـــص الإنجيل هكذا: فقولوا أبانا الذي في السماء ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض. إنجيل لوقا ١١/٢ ٣. وإنجيل متى ٦/٩ ١٢.

(٢) في (أ): دلهم بعد ذلك على. وفي (د): دلهم على.

(٣) أي: نسأله أن يمتعنا بالنعم.

(٤) المجانة: المجون.

(٥) سقط من (ج): أبانه.

(٦) نـــص الإنجيل هكذا: فالذي قدسه الأب وأرسله إلى العالم، أتقولون له إنك تجدف لأني قلت إني ابن الله. يوحنا ١٠/٣٦.

بالبهتان العظيم. فقال: لستم بولد إبراهيم ولابنيه، لو كنتم ولده لعملتم بما يرضيه، ولكنكم بنو الشيطان والخطيئة.

أخبروني هل منكم من يرتجي الله لمعصيته؟ فعلام تريدون قتلي؟! و لم لا تقبلون قولي؟! لو عملتم بطاعة الله، إذن لكنتم أبناء الله[١].

فجعل كما ترون الله أبا لمن أطاعه وأرضاه، وجعل الشيطان أبا لمن أطاعه واتبع هواه، فكفى بهذا حجة دامغة، وشهادة قاطعة بالغة، على مَن تأول من النصارى الأبوة والبنوة على ما تأولوها عليه، وما قلنا به من هذا كله فهم كلهم مقرون به في إنجيلهم لا يختلفون فيه[٢].

فإن لم تكن الأبوة والبنوة إلا على ما قالوا، لزمهم أن يتأولوا كل ما في إنجيلهم من الأبوة والبنوة بما تأولوا، فقد يقرون كلهم من ذلك في إنجيلهم، بما سنذكره مع ما ذكرنا إن شاء الله من أقاويلهم.

زعموا أن فيها، وفيما يضيفونه إليها: ((أن المسيح خرج من القرى وتنحى، وصام في البرية أربعين صباحا، لم يأكل فيها طعاما، و لم يشرب فيها شرابا، فجاءه

---

(١) نص الإنجيل هكذا: فأجابهم يسوع قائلا: (الحق الحق أقول لكم إن كل من يقترف الخطيئة هو عبد للخطيئة، والعبد لا يمكث في البيت إلى الأبد، وأما الابن فيمكث إلى الأبد، فإن حرركم الابن تصيروا بالحقيقة أحرارا، أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم، ولكنكم تبتغون قتلى، لأن كلامي لا مقر له فيكم، أنا أتكلم بما رأيت لدى أبي، وأنتم تعملون بما سمعتم من أبيكم، فأجابوا وقالوا له: (أبونا هو إبراهيم). فقال لهم يسوع: (لو كنتم أبناء إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم، ولكنكم الآن تبتغون قتلي، وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله، وهذا ما لم يفعله إبراهيم، إنكم تعملون أعمال أبيكم). فقالوا له: (إننا لم نولد من زنى، وإنما لنا أب هو الله وحده)، قال لهم يسوع: (لو كان الله أباكم لأحببتموني، لأني من الله خرجت وأتيت، فأنا لم آت من نفسي وحدي، وإنما هو الذي أرسلني، لماذا لا تفهمون كلامي؟ لأنكم لا تستطيعون أن تستمعوا إلى ما أقول، إنكم أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تبتغون أن تتمموا ذاك الذي كان منذ البدء قتالاً للناس، و لم يثبت على الحق قط، لأنه ليس فيه من الحق شيء، متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما عنده، لأنه كذاب وأبو الكذب، وأما أنا فلأني أقول لكم الحق لا تؤمنون بي، من منكم يستطيع أن يثبت عليَّ خطيئة؟ فإن كنت أقول لكم الحق، فلماذا لا تصدقوني؟. يوحنا. ٨/٣٤ ٤٧.

(٢) سقط من (أ) و (د): فيه.

إبليس في صومه ومنتحاه، فعرض عليه جميع زهرة الدنيا وأراها إياه، فلما رأى المسيح ذلك كله، سأله إبليس أن يسجد له سجدة واحدة، على أن يعطيه من ذلك كل ما أراه، فلعنه المسيح وأخزاه، وقال: لا يصلح السجود لغير الله، اخس[1] إليك يا عَدُوَّ الله، قال إبليس ـــ زعموا له، عندما جرى من القول بينه وبينه ـــ فاليوم لك أربعون يوما، لم تشرب شرابا ولم تطعم طعاما، فادع الله إن كنت له حبيبا، أن يجعل لك هذه الحجارة فضة وذهبا، فقال له: ألم تعلم يا لعين أن كلام الله يكفي من اكتفى به من أحب كل طعام وشراب))[2].

ومن كلام الله الذي ذكر صلى الله عليه ما نزّل لا شريك له من كل كتاب، وزعموا في أناجيلهم أن الله أوحى إلى يوسف بعل مريم، بعد ولادتها للمسيح بما الله به أعلم، ((**أن انطلق بالصبي وأمه إلى مصر فأقم بها أنت ومريم وابنها حتى أبين لك موت هيردوس** - وهو ملك من ملوك الروم كان ملكا على بني إسرائيل - **فإنه يريد قتل عيسى ودماره، فرحل يوسف بمريم وابنها ليلا، وأتم الله زعموا بما كان من ذلك من أمره ببعض ما أوحى إليه من[3] كتب رسله إذ يقول سبحانه: من مصر دعوت صفييّ**[4].

(١) في (ج): حاشا.

(٢) في إنجـــيل مـــتى: (ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من إبليس، فبعدما صام أربعين نهارا وأربعـــين لـــيلة جاع أخيرا فتقدم إليه المجرب وقال له: إن كنت ابن الله فقل أن يصير هذه الحجارة خبزا فأجابه وقال: مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله، ثم أخذه إبلـــيس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل وقال له: إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أســـفل، لأنه مكتوب أن يوصي ملائكته بك، فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك، قـــال له يسوع: مكتوب أيضا لا تجرب الرب إلهك، ثم أخذه إبليس إلى جبل عال جدا وأراه جميع ممـــالك العالم ومجدها، وقال له: أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي، حينئذ قال له يسوع: اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك نسجد وإياه وحده نعبد) إنجيل متى (٤/١ـــ١١). وإنجيل لوقا ٤/١ ٩.

(٣) في (أ): في بعض ما أوحى. وفي (ج): أوحى إليه في بعض.

(٤) في (أ): في مصـــر. وفي إنجيل متى (وبعدما انصرفوا إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلا: قم =

وقالوا في إنجيلهم: (**فلما مات هيردوس أوحى الله إلى يوسف أن قد مات فانطلق بعيسى وأمه إلى أرض إسرائيل**)[١] وزعموا أن هذا كله موجود عندهم فيما في أيديهم من الإنجيل، وأنه لما قدم هما يوسف سمع أن كيلادوس مَلِكَ من اليهود بعد أبيه، ما كان يملك أبوه، ففزع لعيسى وأشفق عليه، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه:(**أن امض إلى جبل الجليل فكن فيه، فخرج حتى نزل منه في مدينة يقال لها: ناصرة**). تصديقا لما أوحى الله به قديما في بعض كتبه.

وفيما ذكر من عيسى وأمره في أنه: ((**يكون ويدعا ناصريا**))، [٢]وبذلك يرى ويدعا كل مَن تَنصَّر نصرانيا.

فلما كبر عيسى وظهر[٣] في أيام يحيى، وكان يحي صلى الله عليهما ممن أجابه وصار إليه، فأمره بالتطهر[٤] والاغتسال في نهر الأردن، وكان ذلك تطهرة من الخطايا لمن تاب وآمن، فقال فيما زعموا من إنجيلهم: (**أنا أطهركم كما ترون بالماء والذي يأتيكم على أثري، هو[٥] أكرم على الله مني، وهو الذي يجعل الله به[٦] المذراة، فلا يودع خزائنه إلا الحبوب المطيبة المنقاة، وما بقي بعد ذلك من الغرابلة والتبن، وما**

وخـــذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك، لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبي ليهلكه، فقام وأخذ الصبي ليلا وانصرف إلى مصر وكان هناك إلى وفاة هيرودس، لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل من مصر دعوت ابني) في (متى ١٣/٢ ـــ ١٤).

(١) نـــص الإنجيل هكذا: (فلما مات هيرودس إذا ملاك الرب قد ظهر وحلم ليوسف في مصر قائلا: قم وخذ الصبي وأمه و اذهب إلىأرض إسرائيل). إنجيل متى ١٩/٢ ـــ ٢٠.

(٢) في (أ) و (د): ناصـــرا. وفي إنجـــيل مـــتى (ولكن لما سمع أن أرخيلاوس يملك على اليهودية عوضا عن هـــيرودس أبيه، خاف أن يذهب إلى هناك، وإذ أوحى إليه في حلم: انصرف إلى نواحي الجليل، وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة، لكي يتم ما قيل بالأنبياء أنه سيدعى ناصريا).إنجيل متى ٢٢/٢ ـــ٢٣.

(٣) سقط من(أ) و (ب) و (د): وظهر.

(٤) في (أ) و (د): بالتطهرة. وفي (د): بالتطهير.

(٥) في (ج): فهو.

(٦) في (ج): يجعل الله بيده المذراة.

ليس بذي قيمة ولا ثمن، يحرق بالنار التي لا تخمد، حيث يبقى التحريق ويخلد) [١].

فلما سمع عيسى بأخبار يحيى صلى الله عليهما وعلى جميع النبيين، وما يصنع من تطهيره للمؤمنين، (أقبل إلى يحيى من جبل الخليل[٢] ليصبغه بالماء ويطهره، فكره يحيى عليه السلام مجيئه لذلك - زعموا[٣] - وأَمْرَه، وقال له يحيى عليه السلام: بي إليك فاقة، وتجيء إلي أنت تطلب الطهارة، فقال عيسى، صلى الله عليه وعلى أخيه يحيى: دعنا الآن من هذا فإنه هكذا ينبغي لنا أن نستتم خلال البر كلها، أوكل ما قدرنا عليه منها، فتركه يحيى حينئذ فاغتسل، وعمل في[٤] ذلك ما أراد أن يعمل).[٥]

(ثم سمع بقتل اليهود ليحيىَ فانطلق إلى أرض الجليل[٦] فسكن في كفر ناحوم يتفيأ من حد زبولون)[٧]. (وَثَّم أوحى الله - زعموا - فيه[٨] إلى شعيب[٩] صلى الله عليه، في مصير عيسى من زبولون إلى ما صار إليه، وكان في مصيره إليها ومقامه بها سيارا يسيح في أرض الجليل، يبشر[١٠] ويعلِّم ما يجب لله كلَّ جيلٍ وقبيل، ويبرىء كل مرض

---

(١) نص الإنجيل هكذا: (أنا أعمدكم بماء التوبة ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني الذي لست أهلا أن أحمل حذاءه هو سيعمدكم بالروح القدس وناره الذي رَفشُه في يده وسينقي بيدره ويجمع قمحه إلى المخزن وأما التبن فيحرقه بنار لاتطفأ). إنجيل متى ٣/١١ ــ ١٢وإنجيل لو قا الإصحاح الثالث ١٦ ١٨.

(٢) في (ج): الجليل.

(٣) سقط من (ج) و (د): زعموا.

(٤) في (ج): فاغتسل وعمل من ذلك.

(٥) نص الإنجيل هكذا: حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه، ولكن يوحنا منعه قائلاً: أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إلي، فأجاب يسوع وقال له: اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر، حينئذ سمح له، فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء. إنجيل متى الإصحاح الثالث ١٣ ١٧.

(٦) في (أ) و (ب) و (د): إلى أرض الخليل.

(٧) نص الإنجيل هكذا: ولما سمع يسوع أن يوحنا أُسلم انصرف إلى الجليل وترك الناصرة، وأتى فسكن في كفر ناحوم التي عند البحر في تخوم، زبولون ونفتاليم. إنجيل متى الإصحاح الرابع ١٢ ١٤.

(٨) سقط من (ج): فيه.

(٩) في (ج): إلى شعيب النبي.

(١٠) في (أ) و (د): في أرض الخليل. وفي (د): ينشر.

ووجع في[١] بني إسرآئيل، حتى سُمع بفعاله، وتبشيره ومقاله، في كل ناحية وأرض، وأُتي بكل ذي وجع ومرض، من البرصى والمجانين، والكُمْه والمقعدين، فأبرأهم بإذن الله من أمراضهم المختلفة الهائلة، وانطلقت على إثره جموع كثيرة من كل قبيلة، من أرض الجليل، [٢] ومن المدائن العشر وأهل بيت المقدس ومن عبر الأردن[٣].

[وصايا المسيح عليه السلام]

(فلما رأى عيسى صلى الله عليه تلك الجموع وما اجتمع منها إليه، صعد على جبل مرتفع فارتفع عليه، ليسمع قوله كل من اجتمع فلما علا قعد عليه[٤] أدنى منه حوار ييه، ثم قال: طوبى بالروح عند الله غدا للمساكين ذوي التقوى، كيف يكون ثواهم في ملكوت الله ودار الإقامة والمثوى، طوبى للمحزونين على خطاياهم في الدنيا، كيف يغفر الله لهم خطاياهم غدا، طوبى للمتواضعين لله كيف يرثون أرض الله، طوبى للجياع العطاش في الله بالبر، كيف يشبعون ويروون في يوم البعث والحشر، طوبى للرحماء في الله، كيف يفوزون برحمة الله، طوبى للنقية قلوبهم، إذا نظروا إلى ربهم، كيف يصنع غدًا بهم، وكيف ينتفعون عنده بكسبهم. طوبى لعمال السلام لله، كيف يُدعون أصفياء الله، طوبى للذين يُطردون لأعمال البر، كيف يملكون في ملك السماء إلى آخر الدهر.

ثم قال صلى الله عليه، لمن أجابه ولحوار ييه: طوبى لكم إذا أنتم عُيّرتم وطُرّدتم فيّ

(١) في (ب) و (د): من.

(٢) في (أ) و (ج): أرض الخليل.

(٣) نص الإنجيل هكذا: وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلّم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت، ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب، فذاع خبره في جميع سورية، فأحضروا إليه جميع السقماء المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة، والمجانين والمصروعين والمفلوجين فشفاهم، فتبعته جموع كثيرة من الجليل، والعشر المدن وأورشليم واليهودية، ومن عبر الأردن. إنجيل متى الإصحاح الرابع/٢٣ ٢٥.

(٤) في (أ) و (ب) و (د): فلما صعد عليه. وفي (ج): عليه ثم أدنى.

وعليّ، وقيل لكم قول السوء والكذب من أجلي، عندها فليعظم فرحكم لما عظّم الله في السماء من نوركم، وذخر عند الله في الآخرة لكم[١] من أجوركم، فإن تُظلموا فقبلكم ما[٢] ظلمت الرسل والأنبياء، أو يكذب عليكم فمِن قبل ما قيل على الله الكذب والافتراء، أنتم ملح الأرض فإذا أنتن الملح فبم يُملَّح، فحينئذ لا يصلح إلا أن يُرمى به ويُطرح، فيكون شيئا ملقى، وترابَ أرضٍ يوطأ، أنتم نور العالم[٣] الذي لا يخفى على من يبصر ويرى، وهل تستطيع مدينة ظاهرة على جبل أن تخفى أو تتوارى، وهل يُسرَّج السراج فيحمل[٤] تحت الأغطية، لا ولكن يحمل فوق المنارة العالية، لكي ينير فيضيء، ويظهر فلا يختفي، وكذلك أنتم تنيرون للناس بنوركم المضيء، لينظروا عيانا إلى عملكم الرضي، لتحمدوا الله ربكم الذي زكاكم، وأعطاكم من توفيقه ما أعطاكم، ألا ولا يظنن أحد أني جئت لدفع التوراة والإنجيل والأنبياء، ولا لنقض شيء جاء عن الله من جميع الأشياء، ولكني جئت لتمام ذلك كله، ولتصديق جميع ما أمر الله فيه ورسله، [٥] بل أقول لكم قولا حقا، وأنبئكم نبأ فافهموه صدقا، أنه لا تُغيَّر من آيات الله كلها آية ولا تنتقض، إلى أن تتغير وتفنى السماوات والأرض، ومن نقض من آيات الله آية، أو غيَّر من أصغر وصاياه وصية، فعلَّمها أحدا من الناس مبدّلة مغيّرة، صغيرة كانت الآية والوصية أو كبيرة، دعي في ملكوت الله خسيسا ناقصا، ومن علَّمها كما أنزلت كان في الآخرة تآما خالصا.

وحقا أقول لكم: لئن لم تكونوا من الأبرار، ويكن بركم أفضل من بر الكتبة والأحبار، لا تدخلون غدا في ملكوت الله الغفار. ألا وقد سمعتم[٦] في التوراة ألاَّ تقتلوا النفس المحرمة، [٧] ومن قتلها فقد استوجب في الدنيا العقوبة المؤلمة، وأنا فإني أقول

---

(١) سقط من (أ): لكم.

(٢) ما، زائدة معروفة في لغة الإمام.

(٣) في (أ) و (ب) و (د): العلم.

(٤) سقط من (أ) و (ب) و (د): فيحمل.

(٥) سقط من (أ) و (ب) و (د): ورسله.

(٦) في (ج): سمعتم أن قيل في.

(٧) في (ج): النفس المجرمة.

لكم: إن من قال لأخيه، كلمة قبيحة تؤذيه، فقد استوجب العقوبة، إلا أن يحدث لله منها توبة، ومن قال لأخيه ليعيره: إنك لأرغل لم تختتن، فقد استوجب في الآخرة نار جهنم، بل من قرب منكم قربانه على المذبح وأدناه وقربه[1] ليذبحه، ثم ذكر أن أخاه واجد عليه فليدَع قربانه وليذهب إلى أخيه فيصالحه.

ألا وقد قيل في التوراة: لا تكذبوا إذا حلفتم، ولكن اصدقوا إذا حلفتم بالله وأقسمتم، وأنا فإني أقول لكم: لا تحلفوا بشيء من الأشياء، ولا تقسموا طائعين بقسم ولا إيلاء، [2] لا تحلفوا بالسماء التي هي[3] مكان كرسي الله، وفيها يكون ملائكة الله، ولا بالأرض التي هي منزل رحمة الله وآياته، [4] ولا بحياة شيء، ولا برأس آدمي، ولكن ليكن كلامكم نعم[5] وكلا، فيما تقولون وبلى، وما كان سوى ذلك فهو من السوء، [والقول الباطل] والهزوء، ومن سأل أحدكم شيا، فليعطه وإن كان نفيسا عليا[6].

ألا وقد سمعتم أن قيل: أحبوا أولياءكم، وأبغضوا من الناس أعداءكم، وأنا أقول لكم أحبوا في الله أعداءكم، وبَرِّكُوا منهم على من لعنكم وآذاكم، وأحسنوا منهم إلى مبغضيكم، وصلوا منهم من يؤذيكم، لكي تكونوا من أصفياء الله، ولتفوزوا بالكرامة والرضا من الله، الذي يُطلع شمسه على المتقين والفجرة، وينزل أمطاره على الظالمين والبررة، فإن كنتم إنما تحبون من يحبكم، فأي أجر حينئذ لكم، أَوَليس المكسة والعشارون، كذلك فيما بينهم يفعلون.

ألا ولا ترآوا الناس بالصدقة والزكاة، ولا بما تصلونه لله من الصلاة، فتحبطوا أعمالكم في ذلك لله بالرياء، وتتوفوا أجرها في عاجل هذه الدنيا، ولكن لتكن

---

(١) سقط من (ج): وقربه.

(٢) في (ج): بقسم ولا إبلاء.

(٣) سقط من (ج): هي.

(٤) لعل هنا سقطا.

(٥) في (ج) و (د): زيادة: نعم ولا.

(٦) في (ج): غليا.

صدقتكم لله فيما بينكم وبين الله خفية وسرا، فإن الله ربكم الذي يرى سركم هو يجعلها لكم علانية جهرا، وإذا كنتم في صلاة لله أو خشوع، فلا تقوموا بذلك في السكك والجموع، كالمرآئين للناس بما هم فيه لذلك من حالهم، فحقا أقول لكم لقد تَوفّى أولئك جزاء أعمالهم.

وإذا صليتم فلا ترفعوا أصواتكم ودعاءكم طلبا للرياء، فإن الله يعلم قبل أن تسألوه ما تحتاجون إليه من الأشياء، ولكن إن صليتم فلله وحده فصلوا، وإذا حكمتم في أرضه بحكم فاعدلوا، وقولوا ربنا الذي في السماء تقدس اسمك وحكمتك، وعظم ملكك وجبروتك، أظهر حكمك في أرضك كما أظهرته في سمائك، وارزقنا طعام فاقة يومنا، واغفر لنا سالف جرمنا، كما نغفر لمن ظلمنا، واعف عنا برحمتك وإن أجرمنا، ولا تبتلنا ربنا بالبلاء، وخَلِّصنا من مكار ه الأسواء، فإن لك الملك والقدرة، ومنك الحكم والمغفرة، أبد الآبدين، ودهر الداهرين.

واعلموا أنكم إن غفرتم للناس ما بينهم وبينكم، فإن الله سبحانه يغفر لكم، وإذا صمتم فلا تغيروا وجوهكم، ليعلم الناس صومكم، ولكن إذا صمتم فاغسلوا وجوهكم وادهنوا رؤوسكم، لكيما[1] لا يعلم الناس صومكم، فإن الله الذي صمتم له سرا، هو يجزيكم بصومكم علانية جهرا.

ألا ولا تخزنوا خزائنكم، ولا تجعلوا في الأرض ذخائركم، فإن ما في الأرض يفسده السوس وتأكله الأرضة، وتعرض له الآفات وتناله السرقة، ولكن اخزنوا خزائنكم، واجعلوا ذخائركم في السماوات العلى، حيث لا يفسد منها شيء ولا يبلى، بسرقة ولا آفة معترضة، ولا يناله أكلُ سوسٍ ولا أرضة، فحقا أقول لكم: أن حيث تكون خزائنكم وذخائركم، فهنالك[2] تكون قلوبكم وضمائركم.

واعلموا أن سراج الجسد العين فإن كانت العين نيرة مضيئة كان الجسد نيرا مضيا، وإن كانت العين عمية مظلمة كان الجسد مظلما عميا، وإذا كان النور الذي

(١) في (أ): لكي لا.

(٢) في (أ) و (ب) و (د): هنالك.

فيكم مظلما لا يبصر ولا يعلم، فكم[١] ترون ظلمة حوآسكم وقلوبكم أعمى وأظلم.

واعلموا أن الله لم يجعل لأحد في جوفه من قلبين، وأنه لا يستطيع أحد منكم أن يعبد ربين، لأنه لابد له من أن يكرم أحدهما ويجله، فيقصر بالآخر عن الكرامة ويغفله، أو يهين أحدهما ويحقره، فيجل الآخر ويكبره.

وكذلك لا تستطيعون أن تعبدوا الله وتعزروه، وتسعوا للمال فتجمعوه وتكثروه، ومن أجل ذلك فإني أقول لكم: لا تهتموا بما تأكلون، ولا بما تشربون، ولا ما تلبسون، أليس ماخلق الله لكم من الجوارح والأجسام؟! أكرم وأجل وأكبر من الشراب والطعام! أوَليس ما خلق الله لكم من الأنفس؟! آثر عند الله من الثياب والملبس!

انظروا إلى طير الأرض والسماء، وما خلق الله من دواب الماء، التي لا يزرعن زرعا ولا يحصدنه، ولا يدخرنه في الأهواء ولا يحشدنه، والله ربكم الذي في السماء، يرزقهن في كل يوم ما يصلحهن من الغذاء.

وانظروا إلى عشب البرية الذي لم ينسج ولم يغزل، ولم يُعن منه بشيء ولم يُعتمل، كيف يلبسه الله في حينه كل لون زينة تبهجه! أو حسنا أو نورا، [٢] فأنا أقول لكم إن سليمان بن داود في كل ما كان فيه من ملكه وسلطانه، ما كان يقدر على أن يلبس لونا واحدا مما ألبسه الله العشب من ألوانه، فإن كان العشب في حين تنويره ذا بهجة ونور، فعما قليل وبعد يسير ما يُجعل وقودا للتنور.

ثم الله تبارك وتعالى اسمه يلبسه من البهجة والنور ما لم يلتمسه فيكم، فكم ينبغي لكم يا ناقضي الأمانة ألا تهتموا فتشتغلوا ولا تكثروا من القول لأنفسكم ولا لغيركم؟! فتقولوا ما نأكل وما نشرب؟!وما نلبس وأين نذهب؟! كأنكم بما قلتُ من هذا لا توقنون، فكل هذه الشعوب التي ترون، تبتغي ذلك ولا تبتغوا منه مايبتغون، فإن ربكم الذي في السماء يعلم ما ينبغي لكم من قبل أن تسألوه إياه، ولكن ابتغوا

---

(١) في (أ) و (ب) و (د): فيكم. وفي (ج): فبكم، ولم يظهر لها معنى ويبدو أن الصواب ما أثبت، سيما ونص الإنجيل هكذا (فإن كان النور الذي فيك ظلاما فالظلام كم يكون) والله أعلم.

(٢) لعل هنا سقطا.

طاعة الله ورضاه.

فأما ما ذكرت من هذا كله فهو يعطيكموه ويعطيه، من لا يرضى عليه، فلا تشتغلوا بغد وما بعده من شغله، فحسب غدٍ أن يقوم بشغل أهله، وكفى يومكم في غده، بما في غد من كده.

ألا ولا تعسفوا أحدا بظلم فإنكم كما تدينون تدانون، والمكيال الذي تكيلون به تكتالون، فما بال أحدكم يرى القذى في عين أخيه؟! ولا يرى السارية الشامخة في عينيه! أم كيف يقول لأخيه: اتركني أنزع من عينك قذاها! والسارية الشامخة التي في عينيه لا يراها!

أيا مخادعا مَلِقاً، ومخاتلا لغيره مسترقا، أخرج السارية أولا من عينيك، ثم التمس بعدُ إخراجَها من عين غيرك.

ألا واسمعوا مني، وافهموا ما أقول عني: لا ترموا بقدس الصواب، بين نوابح الكلاب، ولا تقذفوا بلؤلؤكم المنير، بين عانات [1] الخنازير، فلعلهن أن يدنسنه، وينتن ما ألقيتم بينهن منه، ألا واسألوا تعطوا، وابتغوا تجدوا، واقرعوا يفتح لكم فكل سائل يعطى، ومبتغٍ يجد ماابتغى، وكل من استفتح يفتح له، وأي امرؤ منكم يسأله حبيبه أو ابنه برًّا أو خيرا؟ فيعطيه مكان ما سأله من ذلك حجراً! أو يسأله سمكة؟ فيعطيه حية مهلكة! فإن كنتم وأنتم في النقص والتقصير، ومنكم كل ظالم وشرير، تعطون العطايا الصالحة أبناءكم، وتجيبون عند الدعاء والمسألة أحباءكم، فكم ترون لله في ذلك؟! وإذ الأمر كذلك، من الزيادة عليكم فيه، للذي تسألونه وترغبون إليه.

وانظروا كما تحبون أن يفعله الناس بكم فافعلوه إليهم، وكما تريدون العدل من الناس عليكم فكذلك فاعدلوا عليهم، وإن تلك سنة الرسل والأنبياء، وميزان عدل الله في الأشياء، ألا وادخلوا لله وفي الله باب الضيق والمخاوف، فإن باب الأمن والسعة بمعصية الله سبب الهلكة والمتالف، ولَكثيرٌ ممن يدخله ويؤثره، ممن يبصر ذلك ومن لا يبصره، وما أضيق المدخل والباب! وأغفل السبيل والأسباب! التي تُبلِّغ العباد الحياة،

---

(١) العانة: الأُتان، والقطيع من حمر الوحش.

وتوجب للناس النجاة، وأقل من يجدها! ويسهل له وردها!

ألا واحتفظوا من كَذَبَة أولياء الشيطان، الذين يرآؤن الناس بلباس الحملان، وهم مع ذلك ذئاب ضارية، وقلوبهم مستكبِرة عاصية، فلا تغتروا بظاهر حالهم، ولكن اعرفوهم من قِبَل أعمالهم، فهل يخرج من الشوك عنب؟! أومن الحنظل رطب؟! لا لن يكون أبدا ذلك! ولن يوجد كذلك! ولكنه يخرج من كل شجرة طيبة ثمرة طيبة، ويخرج من كل شجرة خبيثة ثمرة خبيثة، وإنما تعرف الشجرة الخبيثة من قِبَل خبث ثمرها، فإذا كانت كذلك خبيثة أوقدتَ النار بها، وكذلك العمل إذا كان شيئا غيا، فلا يكون صاحبه إلا مسيئا غويا.

وليس كل من يقول: ربي ربي بإقراري والدعاء! يدخل يوم القيامة في كرامة ملكوت السماء، إلا أن يكون ممن عمل في دار الدنيا، بما حكم الله عليه به من التقوى، ولَكثيرٌ في ذلك اليوم من يقول ربنا باسمك هدينا وسعينا، وباسمك أخرجنا من الشياطين ما أخرجنا، وباسمك أمورا كثيرة من العجائب صنعنا، ثم يقول الله لهم في ذلك اليوم: تأخروا عني ياعمال الزور.

وقال صلى الله عليه: اعلموا أنه من سمع كلامي، فعمل بما سمع وقَبِلَه عني، فمثله كمثل رجل ذي لب وحكمة، بنى بيته[1] على أساس من حجر محكمة، فلما جاءت الأمطار، وخرَّت فأ عظمت الأنهار، [2] وهيجت الرياح الكبار، جعل ذلك ينطح من كل جدر، [3] فلم يسقط البيت و لم يخرّ.

ومثل من سمع[4] كلامي بغير تسليم ولا تَقَبُّل، كمثل رجل ذي حماقة وجهل مُضَلل، بنى بيته[5] على جرف منهار، أو رمل كثير هيال، فلما جاءت الأمطار ودرَّت، وتحركت الأنهار فجرت، وعصفت الرياح فأعصرت، خر بيته منقعرا، و سقط سقوطا

---

(١) في (أ) و (ب) و (د): بنية.

(٢) سقط من (أ): فأ عظمت الأنهار.

(٣) في جميع المخطوطات: جدار.وما أثبت احتهاد.

(٤) في (ج) و (د): يسمع.

(٥) في (أ) و (ب) و (ج): بنية.

مفزعا مذ عرا.

قالوا فلما فرغ من كلامه هذا كله، عجب مَن حضره من حكمته فيه وقوله، ثم لا سيما الكتبة والأحبار، فإنهم كانوا أعجبهم به[1].

---

(١) نص الإنجيل هكذا: ولما رأى الجموع صعد إلى الجبل. فلما جلس تقدم إليه تلاميذه، ففتح فاه وعلمهم قائلا: طوبى للمساكين بالروح. لأن لهم ملكوت السماوات، طوبى للحزانى لأنهم يتعزون، طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض، طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون، طوبى للرحماء لأنهم يرحمون، طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله، طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون، طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السماوات، طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين، افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السماوات، فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم، أنتم ملح الأرض، ولكن إن فسد الملح فبماذا يملح، لا يصلح بعدُ لشيء إلا لأن يطرح خارجا ويداس من الناس.

أنتم نور العالم، لا يمكن أن تخفى مدينة موضوعة على جبل، ولا يوقدون سراجا ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة فيضيء لجميع الذين في البيت، فليضيء نوركم هكذا قدام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السماوات، لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعا أصغر في ملكوت السماوات، وأما من عمل وعلّم فهذا يدعا عظيما في ملكوت السماوات.

فإني أقول لكم إنكم إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السماوات، قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل، ومن قتل يكون مستوجب الحكم، وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم، ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع، ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم، فإن قدمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئا عليك، فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك، وحينئذ تعال وقدم قربانك.

كن مراضياً لخصمك سريعا ما دمت معه في الطريق، لئلا يسلمك الخصم إلى القاضي، ويسلمك القاضي إلى الشرطي فتلقى في السجن، الحق أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفي الفلس الأخير، سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحنث بل أوف للرب أقسامك، وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة، لا =

بالسماء لأنها كرسي الله، ولا بالأرض لأنها موطئ قدميه، ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم، ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء، بل ليكن كلامكم نعم نعم، لا لا، وما زاد على ذلك فهو من الشرير.

سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحوِّل له الآخر أيضا، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا، ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين، من سألك فأعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده، سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك، وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلُّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات، فإنه يُشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين، لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأي أجر لكم، أليس العشارون أيضا يفعلون ذلك؟! وإن سلمتم على إخوتكم فقط فأي فضل تصنعون، أليس العشارون أيضا يفعلون هكذا؟! فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي هو في السماوات كامل.

احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم، وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السماوات، فمتى صنعت صدقة فلا تُصوِّت قدامك بالبوق كما يفعل المرآءون في المجامع، وفي الأزقة لكي يمجدوا من الناس، الحق أقول لكم: إنهم استوفوا أجرهم، وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك، لكي تكون صدقتك في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية، ومتى صليت فلا تكن كالمرآئين، فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين في المجامع وفي زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس، الحق أقول لكم: إنهم قد استوفوا أجرهم، وأما أنت فمتى صليت فادخل في مخدعك واغلق بابك وصل إلى أبيك الذي في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية، وحينما تصلون لا تكرروا الكلام باطلا كالأمم، فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم، فلا تتشبهوا بهم، لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه، فصلوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السماوات، ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك في الأرض، خبزنا كفافنا أعطنا اليوم، واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا، ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير، لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد، آمين.

فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضا أبوكم السماوي، وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضا زلاتكم، ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرآئين، فإنهم يغيرون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين، الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم، وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك، لكي لا تظهر للناس صائما بل لأبيك الذي في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء

=

يجازيك علانية.

لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ، وحيث لا ينقب سارقون و يسرقون، لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضا، سراج الجسد هو العين، فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيرا، وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلما، فإن كان النور الذي فيك ظلاما فالظلام كم يكون؟!

لا يقدر أحد أن يخدم سيدين، لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر، لا تقدرون أن تخدموا الله والمال، لذلك أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون، ولا لأجسادكم بما تلبسون، أليست الحياة أفضل من الطعام، والجسد أفضل من اللباس، انظروا إلى طيور السماء، إنها لا تزرعَ ولا تحصد، ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوي يقوتها، ألستم أنتم بالحري أفضل منها، ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعا واحدة، ولماذا تهتمون باللباس، تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو، لا تتعب ولا تغزل، ولكن أقول لكم إنه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها، فإن كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم ويطرح غدا في التنور يُلبسه الله هكذا، أفليس بالحري جدا يلبسكم أنتم يا قليلي الايمان، فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل؟ أو ماذا نشرب؟ أو ماذا نلبس؟ فإن هذه كلها تطلبها الأُمم، لأن أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها، لكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره، وهذه كلها تزاد لكم، فلا تهتموا للغد، لأن الغد يهتم بما لنفسه، يكفي اليوم شره.

لا تدينوا لكي لا تدانوا، لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون، وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم، ولماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك، وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها؟! أم كيف تقول لأخيك دعني أخرج القذى من عينك، وها الخشبة في عينك، يا مرآئي أخرج أولا الخشبة من عينك، وحينئذ تبصر جيدا أن تخرج القذى من عين أخيك.

لا تعطوا القدس للكلاب، ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير، لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم، اسألوا تعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم، لأن كل من يسأل يأخذ، ومن يطلب يجد، ومن يقرع يفتح له، أم أي إنسان منكم إذا سأله ابنه خبزا يعطيه حجرا، وإن سأله سمكة يعطيه حية، فإن كنتم وأنتم أشرارا تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة، فكم بالحري أبوكم الذي في السماوات يهب خيرات للذين يسألونه، فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم، افعلوا هكذا أنتم أيضا بهم، لأن هذا الناموس والأنبياء.

ادخلوا من الباب الضيق لأنه واسعٌ الباب ورحبٌ الطريق الذي يؤدي إلى الهلاك، وكثيرون هم الذين يدخلون منه، ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة، وقليلون هم الذين =

وفي أناجيلهم أنه قال عليه السلام: لحقا أقول لكم أيها الناس والكتبة والأحبار، إنَّ كثيرا من المشرق والمغرب لمجيء يوم القيامة والجزاء، يتكىء مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السماء، وإن كثيرا ممن يزعم أنه ابن لهم يُقصى عنهم مع الظلمة في النار، ثم يكونون مخلدين أبدا في البكاء وتحريق الأستار[١].

وفي أناجيلهم: أن رجلا من الكتبة جاءه فقال: إني أحب أن أتبعك، وأكون حيث كنت معك، فقال عليه السلام: لثعالب الوحش مغار، ولطير السماء أوكار، وأنا فليس لي مترل ولا قرار أقر إذا قروا فيه، ولكلٍّ مأوى وليس لي مأوى آوي إليه[٢].

يجدونه، احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة، من ثمارهم تعـرفونهم، هـو يجتـنون من الشوك عنبا، أو من الحسك تينا، هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثمارا جـيدة، وأمـا الشجرة الرديئة فتصنع أثمارا رديئة، لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثمارا رديئة، ولا شـجرة رديـئة أن تصنع أثمارا جيدة، كل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى في النار، فإذًا من ثمارهم تعرفونهم.

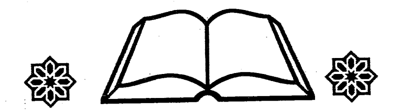
لـيس كـل من يقول يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السـماوات. كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا، وباسمك أخرجنا شـياطين، وبـاسمك صنعنا قوات كثيرة، فحينئذ أصرِّح لهم أني لم أعرفكم قط، اذهبوا عني يا فاعلي الإثم، فكـل مـن يسمع أقوالي هذه ويعمل بها، أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر، فترل المطر وجاءت الأنهار، وهبت الرياح، ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط، لأنه كان مؤسسا على الصخر، وكل من يسمع أقوالي هذه ولا يعمل بها، يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل، فترل المطر وجاءت الأنهـار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط، وكان سقوطه عظيما. فلما أكمل يسوع هذه الأقـوال بهتـت الجموع من تعليمه، لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان، وليس كالكتبة. إنجيل متى الإصحاح الخامس/١ ٢٠ ثم ٣٢ إلى آخر الإصحاح السابع.

(١) نص الإنجيل هكذا: وأقول لكم: إن كثيرين سيأتون غدا من المشارق والمغارب، ويتكئون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب، في ملكوت السماوات، وأما بنوا الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان. إنجيل متى الإصحاح الثامن ١٢ ١٣. لوقا ١٣/٢٧ ٣٠.

(٢) نـص الإنجـيل هكذا: فتقدم كاتب وقال: يا معلم اتبعك أينما تمضي. فقال يسوع للثعالب أوجرة، ولطـيور السماء أوكار، وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه. إنجيل متى الإصحاح الثامن/١٩ =

وفي أناجيلهم: أن رجلا من حوار بيه قال له: يا معلمي ائذن لي أذهب فأدفن أبي، فقال له: تعال اتبعني وكن معي وعلى أثري، واترك الأموات يدفنون موتاهم، ففيهم لدفنهم ما كفاهم(١).

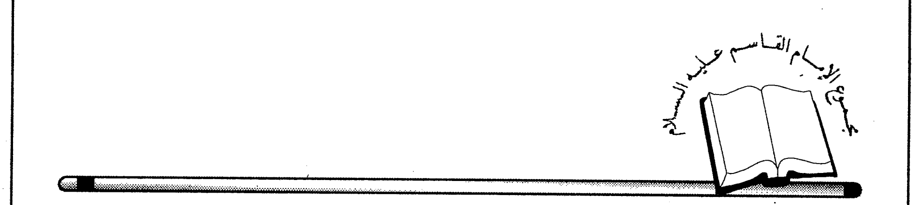
تم والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد خاتم النبيئين، وعلى أهله الطيبين، وسلم عليهم أجمعين.





٢١. إنجيل لوقا ٩/٦٠ ٦١.

(١) نص الإنجيل هكذا: وقال له آخر من تلاميذه: يا سيد ائذن لي أن أمضي، وأدفن أبي، فقال له يسوع اتبعني ودع الموتى يدفنون موتاهم. إنجيل متى الإصحاح الثامن ٢١ ـــ ٢٣. وإنجيل لوقا ٩/٥٧-٥٩.



كتاب المسترشد